القسم الأول

الدراسة الدعوية للأحاديث الواردة في موضوع الدراسة

١- الفصل الأول: كتاب الوصايا

٢- الفصل الثاني: كتاب الجهاد والسير

٣- الفصل الثالث: كتاب فرض الخمس

٤- الفصل الرابع: كتاب الجزية والموادعة

الفصل الأول

٥٥- كتاب الوصايا

١- باب الوصايا، وقولِ النبيِّ ﷺ: «وصيةُ الرَّجُلِ مكتوبةٌ عندَه»

وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[(١)]. «جنفاً»: ميلاً، «متجانف»: مائل.

١-[٢٧٣٨]- حَدَّثَنَا عَبْدُاللهِ بنُ يُوسُفَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَن نافعٍ، عَن عبدِالله بنِ عُمَرَ[(٢)] رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا حقُّ امْرئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مكتوبةٌ عندَه». [(٣)]

○ شرح غريب الحديث:

* «ووصيته» الوصية: مشتقة من وَصَيتُ الشيء، أصيه إذا وصلته، وسُميت وصية؛ لأن الميت يصل بها ما كان في حياته بما بعد مماته، ويقال: وصى وأوصى إيصاءً، والاسم الوصية والوصاة[(٤)]، قال ابن فارس رحمه الله: «وصى»

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٨٠-١٨٢.

(٢) عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ولد سنة ثلاث من البعثة: أي قبل الهجرة بعشر سنوات، وأسلم مع أبيه وهاجر، وعُرض على النبي ﷺ ببدر فاستصغره، ثم عرض عليه بأحد فاستصغره، ثم عرض عليه بالخندق فأجازه، وكان يومئذ ابن خمس عشرة سنة، وهو من المكثرين في حفظ الحديث عن النبي ﷺ فقد رَوَى عنه علماً كثيراً، وعن أبيه، وأبي بكر، وعلي، وعثمان، وغيرهم رضي الله عنهم، وهو ممن بايع تحت الشجرة، وكان قدوة صالحة عالماً عاملاً بعلمه داعياً إليه، وكان رجلاً ورعاً زاهداً، كريماً عابداً سبّاقاً لكل خير، رحيماً، وقد ثبت عن نافع أنه قال: «ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان أو زاد»، وبعث إليه معاوية رضي الله عنه بمائة ألف، فما حال عليه الحول وعنده منها شيء، وكان شديد الحب لمتابعة النبي ﷺ في أقواله وأفعاله، وقد مد الله في عمره حتى نفع بعلمه المسلمين، فعاش قرابة سبع وثمانين سنة، ومات رضي الله عنه سنة أربع وسبعين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم. [انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣/ ٢٠٣-٢٣٩، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٢/ ٣٤٧-٣٥٠].

(٣) وأخرجه مسلم، في كتاب الوصية، ٣/ ١٢٤٩، برقم ١٦٢٧.

(٤) انظر: المعجم في مقاييس اللغة لابن فارس، كتاب الواو، باب الواو والصاد، ص ١٠٩٤، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، باب الياء، فصل الواو، ص ١٧٣١، وشرح الإمام النووي على صحيح مسلم ١١/ ٨٣، وعمدة القاري للعيني ١٤/ ٢٦.

الواو والصاد والحرف المعتل أصل يدل على وصل شيء بشيءٍ، وَوَصَيتُ الشيء وصلتُهُ.[١]

○ الدراسة الدعوية للحديث:

في هذا الحديث دروس وفوائد دعويةٌ منها:

١- حرص النبي ﷺ على تعليم أمته الخير والشفقة عليهم.
٢- أهمية الحزم والجزم والاحتياط في الأمور المهمة.
٣- الاستعداد والتأهب للموت قبل فوات الأوان.
٤- أهمية الكتابة في ضبط الأمور المهمة.
٥- دفع الحرج عن الأمة.
٦- من وسائل الدعوة: القول.
٧- من موضوعات الدعوة: الحديث عن حقوق العباد.

أما الحديث عن هذه الفوائد بالتفصيل فعلى النحو الآتي:

أولاً: حرص النبي ﷺ على تعليم أمته الخير والشفقة عليهم:

بعث الله النبي محمداً ﷺ رحمة للعالمين كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[٢]، وهو ﷺ ينصح لهم غاية النصح، ويسعى في مصالحهم، ويشق عليه الأمر الذي يشق عليهم، ويحب لهم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليهم، ويحرص على هدايتهم للإيمان ولكل خير، ويكره لهم الشر، ويرحم المؤمنين أكثر من رحمة والديهم[٣]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[٤]،

---

(١) معجم المقاييس في اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا «مادة وصى» ص ١٠٩٤، وانظر: لسان العرب لابن منظور «مادة وصى» ١٥/ ٣٩٤.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٣) انظر تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) تحقيق: محمود شاكر ١٤/ ٥٨٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/ ٢٨٠، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ٣/ ٣١٩.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

ومن حرصه ورحمته بهم إرشادهم في هذا الحديث إلى المبادرة إلى الوصية وكتابتها؛ لئلا يهجم على المؤمن أجله قبل ضبط ما يريد بالوصية والكتابة. فينبغي للدعاة إلى الله تعالى أن يتصفوا بالحرص على تعليم الناس الخير اقتداء بنبيهم ﷺ؛ فإن الحرص على نفع المدعوين صفة من صفات الأنبياء وأتباعهم؛ لما رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم**».[١]

ثانياً: أهمية الحزم والجزم والاحتياط في الأمور المهمة:

من الأمور المهمة التي ينبغي أن يتصف بها المسلم، وخاصة الداعية إلى الله تعالى: «الحزم والاحتياط»؛ ولهذا قال ﷺ: «**ما حق امرىء مسلم...**» والمعنى: ما الحزم والاحتياط للمسلم إلا أن تكون وصيته مكتوبة عنده، إذا كان له شيء يريد أن يوصي فيه؛ لأنه لا يدري متى تأتيه المنية، فتحول بينه وبين ما يريد من ذلك[٢]، وهذا يبين أن الحزم والاحتياط من أخلاق المسلم[٣]؛ ولهذا ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدَرُ اللهِ وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[٤]؛ وقد بوّب بعض الشراح لهذا الحديث بقوله: «بابٌ في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله»[٥].

وهذا يدل على أن قوة العزيمة وعلوَّ الهمة خلق عظيم يجعل صاحبه أكثر إقداماً على الأمور العظيمة، وأشد عزيمة في الدعوة إلى الله تعالى، وفي الصبر على الأذى واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة

---

(١) أخرجه مسلم، في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول ٣/ ١٤٧٣ برقم ١٨٤٤.

(٢) انظر: فتح المبدي شرح مختصر صحيح البخاري للزبيدي، تأليف عبدالله بن حجازي الشرقاوي، ٢/ ٢٨٨، ومنار القاري في شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة بن قاسم، ٤/ ٦٤.

(٣) إكمال إكمال المعلم، شرح الأبي على صحيح الإمام مسلم، ٥/ ٥٩٧، وفتح الباري لابن حجر، ٥/ ٣٥٨.

(٤) أخرجه مسلم، في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ٤/ ٢٠٥٢، برقم ٢٦٦٤.

(٥) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم، ١٦/ ٤٥٥.

والصوم والأذكار، وسائر العبادات، وأنشط طلباً لها والمحافظة عليها[١]، وهذا يوضح للداعية أن قوة العزيمة وعلو الهمة، والنشاط يفتح له عمل كل خير، وأما التمنِّي فهو رأسُ أموال المفاليس، والعجز مفتاح كل شر[٢]، والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٣].

ثالثاً: الاستعداد والتأهب للموت قبل فوات الأوان:

دل هذا الحديث على أنه ينبغي أن يتأهب المسلم للموت ـ وخاصة الدعاة إلى الله تعالى؛ لأنهم قدوة الناس ـ؛ فإنه لا يدري متى يفجؤه الموت؛ لأنه ما من سن يفرض إلا وقد مات فيه جمع جم وكل واحد بعينه جائز أن يموت في الحال، فينبغي أن يكون متأهباً مستعداً لذلك، فيكتب وصيته التي يريد أن يوصي بها، ويجمع فيها ما يحصل له به الأجر ويحبط عنه الوزر من حقوق الله وحقوق عباده[٤]، والنبي ﷺ قد حث أمته وحضهم في هذا الحديث على الوصية، فيستحب للمسلم أن يوصي بما تيسر إذا كان له مال كثير، ولا يزيد على الثلث؛ لقوله ﷺ: «**إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**»[٥]، ولكن إذا كان عليه حقوق واجبة: كالحج، والدَّين، والنذر، والودائع وغير ذلك، فإنه يلزمه أن يوصي بهذه الحقوق.[٦]

وهكذا شأن الداعية الصادق والمسلم الحازم يكون مستعداً للموت متأهباً له، قائماً بجميع الواجبات، تاركاً جميع المحرمات، تائباً من جميع السيئات، كما قال النبي ﷺ لابن عمر رضي الله عنهما: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/ ٤٥٥.

(٢) انظر: مدارج السالكين للإمام ابن القيم ٣/ ٣، وزاد المعاد في هدي خير العباد له، ٢/ ٣٥٨، وطريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم أيضاً، ص ٤٤٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر ٥/ ٣٦٠.

(٥) مسلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث ٣/ ١٢٥٠ برقم ١٦٢٨.

(٦) انظر: الاستذكار لابن عبدالبر ٢٣/ ٧، وشرح النووي على صحيح مسلم ١١/ ٨٤، وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٧/ ٧٤، وفتح الباري لابن حجر، ٥/ ٣٥٩.

المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك». [١]

فالداعية ينبغي أن لا يتخذ الدنيا وطناً ومسكناً، فيطمئن فيها، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر، يُهيئ جهازه للرحيل؛ لأن الآخرة هي دار القرار، قال الله تعالى حاكياً عن مؤمن آل فرعون أنه قال: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾[٢]؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**ما لي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها**»[٣]، فالمؤمن وخاصة الداعية إلى الله ينبغي له أن يكون في الدنيا على أحد حالين:

الحالة الأولى: أن ينزل نفسه كأنه غريب في الدنيا يتخيّلُ الإقامة لكن في بلد غربة، فهو غير متعلق القلب ببلد الغربة، بل قلبه متعلق بوطنه الذي يرجع إليه، وإنما هو مقيم في الدنيا؛ ليقضي بقية جهازه حتى يرجع إلى وطنه، ومن كان كذلك في الدنيا فلا هم له في الحقيقة إلا في التزود بما ينفعه عند عودته إلى وطنه، فلا ينافس أهل البلد الذي هو غريب بينهم في عزهم، ولا يجزع من الذل عندهم. والمؤمن في الدنيا غريب؛ لأن الجنة هي وطنه الأول أخرجه منه إبليس، فهو يتزود بما يبلغه المحل الأعلى، كما قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فحيَّ على جنات عدن فإنها ... منازلنا الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدوِّ فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى ... وشطت به أوطانه فهو مغرم
وأي اغتراب فوق غربتنا التي ... لها أضحت الأعداء فينا تحكم[٤]

الحالة الثانية: أن ينزل الداعية نفسه في الدنيا كأنه مسافر غير مقيم ألبتة،

---

(١) البخاري، كتاب الرقاق، باب قوله ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، ٧/ ٢١٩، برقم ٦٤١٦.
(٢) سورة غافر، الآية: ٣٩.
(٣) مسند أحمد ٢/ ١٣٢، والترمذي، في كتاب الزهد، بابٌ: حدثنا موسى بن عبدالرحمن ٤/ ٥٨٨، برقم ٢٣٧٧، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه، في كتاب الزهد، باب مثل الدنيا ٢/ ١٣٧٦، برقم ٤١٠٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢/ ٢٨٠.
(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص ٣٠.

وإنما هو سائر في قطع منازل السفر حتى ينتهي به السفر إلى الوطن الذي يريد وهو الموت. ومن كان هذا حاله في الدنيا فهمته تحصيل الزاد للسفر، وليس له همة في الاستكثار من متاع الدنيا.[١]

وعلى الداعية أن يتدبر دائما قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٢].

رابعاً: أهمية الكتابة في ضبط الأمور المهمة:

في قوله ﷺ في الحديث: «**إلا ووصيته مكتوبة عنده**» إشارة إلى أن الأمور المهمة ينبغي أن تضبط بالكتابة الواضحة البينة؛ لأنها أثبت من الضبط بالحفظ؛ لأنه يخون غالباً، ولابد أن تكون الكتابة معلومة، كما أن في قوله ﷺ: «**مكتوبة عنده**» إشارة إلى أنه ينبغي للداعية أن يحتفظ بالوثائق المهمة عنده في مكان أمين، وفي حرز حصين حتى لا تتعرض الأمور المهمة إلى الإتلاف، أو تضيع، أو تتسلط عليها أيدٍ غير أمينة[٣]. وينبغي أن يشهد على وصيته إذا كان المكتوب وصيةً أو غيرها من الأمور المهمة، وله أن يغيِّر في وصيته ما شاء، ويزيد فيها ما يشاء من الأمور التي تتجدد.[٤]

خامساً: دفع الحرج عن الأمة:

دل الحديث على دفع الحرج عن هذه الأمة؛ ولهذا قال الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله: (والترخيص في الليلتين، أو الثلاث دفع للحرج والعسر)[٥]، والأصل

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب، بتحقيق الأرناؤوط ٢/ ٣٧٨، ٣٨١.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٠.
(٣) انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٤/ ٧٤، وشرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للعلامة محمد بن صالح العثيمين ٦/ ١٤٢.
(٤) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للعلامة علي بن سلطان القاري ٦/ ٢٥١.
(٥) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة تقي الدين بن دقيق العيد ٢/ ١٦١.

في ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[١]، وقال ﷻ : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٢].

سادساً: من وسائل الدعوة: القـول:

الوسيلة في الأصل : ما يتوصل به إلى الشيء[٣]، ووسائل الدعوة هي : ما يستعين به الداعية على تبليغ دعوته من أشياء وأمور[٤]، فهي ما يتوصل به الداعية إلى تبليغ دعوته من أمور معنوية أو مادية ووسيلة التبليغ في هذا الحديث هي : القول : «**ما حق امرئ مسلم**» ووسيلة القول أعظم وسائل الدعوة التي استعملها أنبياء الله ورسله في تبليغ دعوتهم عليهم الصلاة والسلام .

وتبرز أهمية وسيلة القول من عدة وجوه، منها :

١- اهتمام القرآن الكريم بهذه الوسيلة، فقد ورد لفظ «قل» في القرآن الكريم في أكثر من ثلاثمائة موضعٍ، كما جاءت مشتقاته وتصريفاته في القرآن الكريم في آيات كثيرة[٥].

٢- استخدام جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام هذه الوسيلة في دعوتهم إلى الله تعالى، فكم من رسول قال لقومه : ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[٦]، قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[٧]، ويدل على أهمية هذه الوسيلة كثرة أقوال النبي الكريم محمد ﷺ في كتب السنة التي دعا بها أمته بقوله إلى كل ما يعود عليهم بالخير والصلاح .

---

(١) سورة الحج، الآية : ٧٨ .
(٢) سورة المائدة، الآية : ٦ .
(٣) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، باب الواو مع السين ٥/ ١٨٥ .
(٤) انظر : الحكمة في الدعوة إلى الله، لسعيد بن علي، ص ١٢٦ .
(٥) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبدالباقي، ص ٥٧٠ .
(٦) سورة الأعراف، الآية : ٦٥ .
(٧) سورة إبراهيم، الآية : ٤ .

٣- وسيلة القول وسيلة فطرية متوافرة عند أغلب الناس إلا ما ندر؛ ولهذا بيَّن الله سبحانه أهمية النطق باللسان، فقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[١].

٤- هذه الوسيلة لها ضوابط منها: أن يكون القول مشروعاً، ولطيفاً حسناً، وأن يطابق القول العمل، ويكون بيِّناً واضحاً، وبعيداً عن التقعُّر والتشدق وتكلف الفصاحة[٢]، فينبغي للداعية أن يعتني بهذه الوسيلة ويطبق شروطها.[٣]

سابعاً: من موضوعات الدعوة: الحديث عن حقوق العباد:

إن من الموضوعات المهمة التي ينبغي للداعية إلى الله سبحانه وتعالى أن يبينها للناس ويحضهم عليها: حقوق العباد؛ ولهذا قال الإمام ابن عبدالبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذا الحديث الحضُّ على الوصية والتأكيد في ذلك، وأجمع الجمهور على أن الوصية غير واجبة على أحد إلا أن يكون عليه دينٌ، أو عنده وديعة، أو أمانة، فيوصي بذلك».[٤]

* * *

(١) سورة النحل، الآية: ٧٦.

(٢) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، للدكتور محمد البيانوني، ص ٣١١-٣١٥.

(٣) وغالب الأحاديث تشمل هذه الوسيلة؛ ولذلك سأقتصر على هذا الحديث فقط ولا أذكر هذه الوسيلة في الأحاديث اللاحقة.

(٤) الاستذكار لابن عبدالبر، ٢٣/ ٧، وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١١/ ٨٤.

٢-[٢٧٣٩]- حَدَّثَنَا إِبْراهيمُ بنُ الحَارِثِ: حَدَّثَنا يَحْيى بنُ أَبي بُكَيرٍ: حَدَّثَنَا زُهَيرُ بنُ مُعاويةَ الجُعْفِيُّ: حَدَّثَنَا أَبو إِسحاقَ، عن عَمْرٍو[١] بنِ الحَارِثِ خَتَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَخِي جُوَيْرِيةَ بنتِ الحَارِثِ قَالَ: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَماً، وَلَا دِيناراً، ولا عَبْداً، وَلَا أَمَةً، وَلَا شَيْئاً، إِلَّا بَغْلَتَهُ البَيضاءَ وسِلاحَهُ، وَأَرْضاً جَعَلَها صَدَقةً». [٢]

وفي رواية: «. . . إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها . . .». [٣]

وفي رواية: «. . . وأرضاً بخيبر جعلها صدقة . . .» [٤].

وفي رواية: «. . . وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة» [٥].

○ شرح غريب الحديث:

* «الخَتَنُ» أبو امرأة الرجل، وأخو امرأته، وكل من كان من قِبَلِ امرأته، والأختان من قبل المرأة، والأحماءُ من قبل الزوج، والصهر يجمعهما. [٦]

* «أرضاً» هي نصف أرض فدك، وثلث أرض وادي القرى، وسهمه من خمس خيبر، وحقه من أرض بني النضير[٧]، وقال الإمام النووي: «وأما

---

(١) عمرو بن الحارث بن أبي ضرار أخو جويرية بنت الحارث زوج النبي ﷺ و رضي الله عنها، روى عمرو عن أخته جويرية، وعن أبيه الحارث، وعن ابن مسعود رضي الله عنه. [انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/ ٢٦.، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ٢/ ٥٣٠، وتهذيب التهذيب له، ٨/ ١٣].

(٢) (الحديث ٢٧٣٩) أطرافه في كتاب الجهاد، باب بغلة النبي ﷺ البيضاء، ٣/ ٢٩٠، برقم ٢٨٧٣، وباب من لم ير كسر السلاح عند الموت، ٣/ ٣٠٢، برقم ٢٩١٢، وكتاب فرض الخمس، باب نفقة نساء النبي ﷺ بعد وفاته، ٤/ ٥٥ برقم ٣٠٩٨، وكتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ٥/ ١٦٧ برقم ٤٤٦١. وأخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، ٣/ ١٢٥٦ برقم ١٦٣٥.

(٣) من الطرف رقم ٤٤٦١.

(٤) من الطرف رقم ٢٩١٢.

(٥) من الطرف رقم ٤٤٦١.

(٦) انظر: لسان العرب، لابن منظور، فصل الخاء، باب النون، مادة «ختن» ١٣/ ١٣٨، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي، فصل الخاء، باب النون، مادة «ختن» ص ١٥٤٠، وغريب الحديث والأثر لابن الأثير باب الخاء مع التاء، ٢/ ١٠.

(٧) شرح الكرماني على صحيح البخاري ١٢/ ١٤٩.

الأرض التي كانت له بخيبر وفدك فقد سبَّلها على المسلمين». [١]

* «**وسلاحه**» السلاح ما أعددته للحرب من آلة الحديد مما يقاتل به والسيف وحده يسمى سلاحاً[٢]، فعلى هذا فالمقصود بسلاحه سيوفه وأرماحه. [٣]

* «**وبغلته**» والجمع: أبغال وبغال، والبغل هو: ابن الفرس من الحمار، وقيل: اسم بغلة النبي ﷺ: دُلْدُل. [٤]

○ الدراسة الدعوية للحديث:

في هذا الحديث دروس وفوائد دعوية منها:

١- من صفات الداعية: الزهد

٢- من صفات الداعية: الكرم.

٣- الإعداد للجهاد في سبيل الله تعالى.

٤- أهمية الوقف في العمل الدعوي.

والحديث عن هذه الدروس والفوائد الدعوية على النحو الآتي:

أولاً: من صفات الداعية: الزهد:

يؤخذ من هذا الحديث زهد الداعية إلى الله تعالى؛ لأن النبي ﷺ - هو قدوة الدعاة - كان أزهد الناس في الدنيا، وفي حطامها الفاني، وكانت عنايته الفائقة بالدعوة إلى الله تعالى وتوجيه البشرية لما يعود عليهم بالخير في الدنيا والآخرة؛ ولهذا لم يترك عند موته: ديناراً، ولا درهماً، ولا عبداً، ولا أمةً، ولا شيئاً، إلا ما جعله صدقة في سبيل الله تعالى[٥]، وهكذا ينبغي للداعية أن

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١١/ ٩٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير، باب السين مع اللام ٢/ ٣٨٨.

(٣) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، ١/ ٦٤.

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة، كتاب الباء، باب الباء والغين، ص ١٤٣، و عمدة القاري للعيني، ١٤/ ٣٠، وإرشاد الساري للقسطلاني، ٥/ ١٩٧.

(٥) انظر: شرح الكرماني على صحيح البخاري ١٢/ ٦٠، ١٤٩، وفتح الباري لابن حجر، ٦/ ٩٧، وعمدة القاري للعيني، ١٤/ ٣١.

يجعل أكبر همه الدعوة إلى الله تعالى، ويزهد في الدنيا ولا يجعلها غاية مقصده ومبلغ علمه، وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: أن الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة[١]. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد والورع وأجمعها»[٢].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «الزهد على ثلاثة أوجه، الأول: ترك الحرام وهو زهد العوام، والثاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص، والثالث: ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين»[٣].

وقد تكفَّل الله لمن لا يجعل الدنيا أكبر همه بالسعادة في الدنيا والآخرة؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**من كانت الآخرة هَمَّهُ جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له**»[٤].

ثانياً: من صفات الداعية: الكرم

الجود والكرم خلق عظيم ينبغي للداعية إلى الله أن يتصف به، وفي الحديث إشارة إلى اتصاف النبي ﷺ بالكرم؛ قال القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ على قول عمرو بن الحارث في الحديث: «**ما ترك رسول الله ﷺ عند موته: درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة...**»: «فيه دلالة على أن من ذكر من رقيق النبي ﷺ في جميع الأخبار كان إمَّا مات وإمَّا أعتقه»[٥]، وقال العيني: «وقد ذكرنا في تاريخنا الكبير أنه كان له عبيد ما ينيف على ستين، وكانت له عشرون أمة، فهذا يدل على أن منهم من مات في حياة النبي ﷺ، ومنهم من أعتقهم، ولم يبق عبدٌ

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ١٠/ ٥١١، ٦١٥ و ٢٠/ ١٤٢، ومدارج السالكين لابن القيم ٢/ ١٠.
(٢) مدارج السالكين لابن القيم، ٢/ ١٠.
(٣) المرجع السابق، ٢/ ١٢.
(٤) أخرجه الترمذي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب صفة القيامة، باب: حدثنا قتيبة ٤/ ٦٤٢، برقم ٢٤٦٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥/ ٣٥١، وسلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٩٥٠.
(٥) إرشاد الساري ٦/ ٤٩٢، وانظر: عمدة القاري للعيني، ١٤/ ٣٠.

بعده ولا أمة وهو في الرِّقيّة»[١]، وهذا يدل على كرمه ﷺ، وعن أنس رضي الله عنه قال: ما سُئِل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: «فجاء رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قومي أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة»[٢].

فالداعية ينبغي له أن يكون كريماً؛ لأن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها.[٣]

ثالثاً: الإعداد للجهاد في سبيل الله تعالى:

الجهاد في سبيل الله تعالى وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى ونشر الإسلام؛ لأن الهدف منه: إخراج الناس من عبودية المخلوق إلى عبودية الخالق؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٤].

وقد دل الحديث على الإعداد للجهاد والتأهب له، قال القسطلاني رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: «إلا سلاحه» أي الذي أعده لحرب الكفار: كالسيوف[٥]، وقال ابن الأثير: «السلاح ما أعددته للحرب من آلة الحديد مما يقاتل به، والسيف وحده يسمى سلاحاً»[٦].

فينبغي للدَّولة المسلمة أن تعد العدة للجهاد بكل ما تستطيعه من قوة؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٧]

---

(١) عمدة القاري ١٤/ ٣٠.
(٢) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل ﷺ شيئاً فقال: لا، ٤/ ١٨٠٦ برقم ٢٣١٢.
(٣) وسيأتي إن شاء الله تفصيلٌ أكثر من ذلك. انظر: الحديث رقم ٣٥، الدرس الثالث.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.
(٥) إرشاد الساري ٥/ ١٠٠، ١٩٧.
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٣٨٨.
(٧) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

رابعاً: أهمية الوقف في العمل الدعوي:

دل مفهوم الحديث وما في معناه من الأحاديث الأخرى على أن الوقف له أهمية بالغة؛ ولهذا اعتنى به النبي ﷺ كما في هذا الحديث: «**وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة**»، وقال ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[1].

فينبغي للداعية أن يبين للناس أهمية الوقف ويحثهم على ذلك، ويكون قدوة لهم في كل ما يدعوهم إليه. والله المستعان.

***

(١) صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ٣/ ١٢٥٥، برقم ١٦٣١، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٣-[٢٧٤٠] حَدَّثَنَا خَلَّادُ بنُ يَحْيىٰ: حَدَّثَنا مَالِكٌ: حَدَّثَنا طَلْحَةُ بنُ مُصَرِّفٍ[١] قَالَ: «سَأَلتُ عَبدَاللهِ بنَ أَبِي أَوْفَى[٢] رضي الله عنهما: هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْصَىٰ؟ فقَال: لَا. فَقُلتُ: كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الوَصِيَّةُ أَوْ أُمِروا بِالوَصِيَّةِ؟ قَالَ: أَوْصَىٰ بِكِتَابِ اللهِ»[٣].

وفي رواية: «كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الوَصِيَّةُ أَوْ أُمِرُوا بِهَا وَلَمْ يُوصِ»[٤].

○ شرح غريب الحديث:

* «فقال: لا» أي لم يوصِ بما يتعلق بالمال؛ لأن ما تركه فهو صدقة.[٥]

* «أوصى بكتاب الله» أي بالتمسك به والعمل بمقتضاه.[٦]

* «كيف كُتِب على الناس الوصية أو أمروا بالوصية» شكٌّ من الراوي: هل قال: كيف كتب على المسلمين الوصية أو قال: كيف أمروا بها.[٧]

---

(١) طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب الإمام الحافظ المقرئ اليامي الهمداني الكوفي، حدث عن أنس بن مالك وعبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهم، كان يسمى سيد القراء ولما علم إجماع أهل الكوفة على أنه أقرأ من بها ذهب فقرأ على الأعمش لتنزل رتبته في أعينهم ويأبى الله إلا رفعته؛ ولهذا قال الأعمش: (فما ظنكم برجل لا يخطئ، ولا يلحن) وتوفي رحمه الله في آخر عام ١١٣هـ، [انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٥/ ١٩١-١٩٣].

(٢) عبدالله بن أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي رضي الله عنه، شهد بيعة الرضوان، وخيبر وما بعدهما من المشاهد مع رسول الله ﷺ، ولم يزل بالمدينة حتى توفي رسول الله ﷺ، ثم تحول إلى الكوفة، روى عن رسول الله ﷺ خمسة وتسعين حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على عشرة، وانفرد البخاري بخمسة ومسلم بحديث، مات سنة ست وثمانين، وقيل سبع وثمانين، وهو آخر من توفي من الصحابة رضي الله عنهم بالكوفة. [انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ٢٦١، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٥/ ١٦٧، والإصابة في تمييز الصحابة، له، ٢/ ٢٧٩].

(٣) (الحديث ٢٧٤٠) طرفاه في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ٥/ ١٦٧ برقم ٤٤٦٠، وفي كتاب فضائل القرآن، باب الوصاة بكتاب الله عز وجل، ٦/ ١٣٠ برقم ٥٠٢٢، وأخرجه مسلم، في كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه ٣/ ١٢٥٦، برقم ١٦٣٤.

(٤) من الطرف رقم ٥٠٢٢.

(٥) انظر: شرح الكرماني على صحيح البخاري ١٢/ ٦٠، ١٦/ ٢٤٨، ١٩/ ٣٠.

(٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٥/ ٣٦٠-٣٦١.

(٧) المرجع السابق ٥/ ٣٦٠.

○ الدراسة الدعوية للحديث:

في هذا الحديث دروس وفوائد دعوية، منها:

١- أهمية العلم والعمل بكتاب الله تعالى.

٢- أهمية السؤال في تحصيل العلم ونشره.

٣- من وسائل الدعوة: القدوة الحسنة.

٤- من صفات الداعية: الحرص على الدقة في نقل الحديث.

والحديث عن هذه الدروس والفوائد الدعوية تفصيلاً على النحو الآتي:

أولاً: أهمية العلم والعمل بكتاب الله تعالى:

أساس العلم النافع العلم بكتاب الله تعالى، فلابد للداعية إلى الله تعالى أن يعتني بهذا الكتاب العظيم وحفظه: حساً ومعنىً وتدبراً، فَيُكرم، ويُصان، ويُتَّبع ما فيه: فيعمل بأوامره، ويجتنب نواهيه، ويداوم على تلاوته، وتعلمه وتعليمه[١]، وقد بين الله الحكمة من إنزاله فقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٢]، وقد بين النبي ﷺ أن هذا القرآن أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده المؤمنين فقال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**».[٣]

فأي غبطة أعظم وأحب من هذه الغبطة العظيمة[٤]؛ ولهذه المكانة العظيمة أوصى النبي ﷺ بهذا القرآن العظيم في عدة مناسبات وفي عدة أماكن، من ذلك أنه أوصى به في عرفات فقال: «**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم**

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٩/ ٦٧.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٩.

(٣) البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن ٦/ ٦٣١، برقم ٥٠٢٥، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ١/ ٥٥٨، برقم ٨١٥.

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٣٤٧.

به، كتاب الله»[١]، وعندما كان في طريقه إلى المدينة راجعاً من حجة الوداع أوصى به فقال: «**وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، [هو حبل الله من اتَّبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة] فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به**»، فحث عليه ورغب، ثم قال: «**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي**» ثلاث مرات[٢]، وأوصى به عند موته كما في حديث الباب.

فدل ذلك على أهمية تعلم كتاب الله تعالى وتعليمه للناس، فيتأكد على الدعاة إلى الله تعالى أن يعتنوا بكتاب الله حفظاً وفهماً، وعملاً وتعليماً.

ثانياً: أهمية السؤال في تحصيل العلم ونشره:

إن السؤال عن العلم من أهم الأمور التي ينبغي لكل مسلم أن يعتني بها، وقد ظهر ذلك في هذا الحديث؛ لسؤال طلحة بن مصرف لعبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما عن وصية النبي ﷺ، فاستفاد منه هذا العلم العظيم ونُشِرَ بسبب سؤاله؛ ولأهمية السؤال عن العلم قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: «خمسٌ إذا أخطأ القاضي منهن خطة[٣]، كانت فيه وصمة[٤]، أن يكون: فَهِماً، حليماً، عفيفاً، صليباً[٥]، عالماً، سئولًا عن العلم»[٦]، وقال مجاهد: «لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر»[٧] وهذا يدل على أهمية السؤال عن العلم ونشره، فيتأكد على الداعية أن يعتني بذلك.

ثالثاً: من وسائل الدعوة: القدوة الحسنة:

دل هذا الحديث على أن القدوة وسيلة من وسائل الدعوة؛ ولهذا قال طلحة ابن مصرِّف لعبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: «كيف كُتِبَ على الناس الوصية أو

(١) مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ ٢/ ٨٨٦، برقم ١٢١٨.
(٢) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ٤/ ١٨٧٣، برقم ٢٤٠٨.
(٣) خطة: أي خصلة. فتح الباري ١٣/ ١٤٦.
(٤) وصمة: عيباً. انظر: فتح الباري ١٣/ ١٤٦.
(٥) صليباً: قوياً شديداً، يقف عند الحق ولا يميل مع الهوى. انظر: المرجع السابق ١٣/ ١٤٦.
(٦) البخاري، كتاب الأحكام، باب متى يستوجب الرجل القضاء ٨/ ١٤١.
(٧) البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم ١/ ٤٧.

أمروا بالوصية ولم يوصِ» يعني النبي ﷺ؛ لأنه أسوة كل مسلم، فقال عبدالله: «أوصى بكتاب الله»، وهذا يبين للداعية أنه يجب على جميع الدعاة إلى الله تعالى أن يكونوا قدوة صالحة للمدعوين، ولا يكون الداعية ناجحاً إلا أن يعمل بدعوته، ولا يكون ممن يدعو إلى شيء ثم يتركه، أو ينهى عنه ثم يرتكبه، وهذا حال الخاسرين نعوذ بالله من ذلك؛ ولهذا قال الله تعالى محذراً عن ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ * كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[1]؛ قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «علماء السوء جلسوا على أبواب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما يدعون إليه حقاً، كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدِلّاءٌ، وفي الحقيقة قطاع طريق»[2]، فعلى الداعية المسلم أن يكون قدوة للناس بقوله وفعله[3]، والله المستعان.

رابعاً: من صفات الداعية: الحرص على الدقة في نقل الحديث:

من الصفات الحميدة حرص السلف الصالح على الدقة في نقل الحديث؛ ولهذا قال بعض رواة هذا الحديث: «كيف كُتِبَ على الناس الوصية أو أُمروا بالوصية»، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «شك من الراوي هل قال: كيف كتب على المسلمين الوصية أو قال: كيف أمروا بها».[4]

وهذا يدل الدعاة إلى الله تعالى ويرشدهم إلى التحري والدقة في نقل الأخبار والأحاديث وتبليغها للناس كما جاءت، حتى لا يقع الداعية في الكذب أو الافتراء وهو لا يشعر.[5]

***

(١) سورة الصف، الآيتان: ٢-٣.
(٢) الفوائد، لابن القيم، ص ١١٢.
(٣) انظر: مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز ١/ ٣٥٠، ٢/ ٣٤٣، ٣/ ١١٠.
(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، ٥/ ٣٦٠.
(٥) انظر بهجة النفوس، لابن أبي جمرة، ١/ ١٢٨.

٤-[٢٧٤١] حَدَّثَنَا عَمْرُو بنُ زُرَارَةَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنِ ابنِ عَوْنٍ، عنْ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الأَسْوَدِ[١] قَالَ: «ذَكَرُوا عِنْدَ عَائِشَةَ[٢] أَنَّ عَلِيّاً رضي الله عنهما كَانَ وَصِيّاً، فَقَالَتْ: مَتَى أَوْصَىٰ إِلَيْهِ وَقَدْ كُنْتُ مُسنِدَتَهُ إِلى صَدْرِي؟ ـ أَوْ قَالَتْ: حَجْرِي ـ فَدَعَا بِالطَّسْتِ، فَلَقَدِ انْخَنَثَ في حَجْرِي فَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَمَتَى أَوصىٰ إِلَيْهِ؟». [٣]

○ شرح غريب الحديث:

* «الطست» إناء كبير مستدير. [٤]

* «انخنث» أي انكسر وانثنى لاسترخاء أعضائه عند الموت. [٥]

---

(١) الأسود بن يزيد بن قيس النخعي أبو عمرو أو أبو عبدالرحمن، سمع من معاذ بن جبل في اليمن قبل أن يهاجر، وعن أبي بكر وعمر، وحديثه عن كبار الصحابة في الصحيحين، وغيرهما. وهو من المخضرمين ثقة فقيه، مات سنة أربع أو خمس وسبعين. [انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ١/ ١٠٦، وتقريب التهذيب له، ص ١٤٦].

(٢) عائشة بنت أبي بكر الصديق عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر، القرشية المكية، أم المؤمنين زوجة النبي ﷺ أفقه نساء الأمة على الإطلاق رضي الله عنها. ولدت بعد البعثة بأربع سنين أو خمس، تزوجها النبي ﷺ وهي بنت ست، وقيل: سبع سنين، ويجمع بين القولين أنها كانت قد أكملت السادسة ودخلت في السابعة، ودخل بها، وهي بنت تسع في شوال في السنة الأولى من الهجرة، واختار الذهبي والنووي أنه ﷺ دخل بها وهي بنت تسع في شوال سنة اثنتين، وضعف النووي القول الأول. وهي من أكثر الصحابة رواية، فقد روت عن النبي ﷺ علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه. روي لها أحاديث كثيرة حصرها علماء الحديث بألفين و مائتين وعشرة أحاديث (٢٢١٠)، اتفق البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين ومسلم بثمانية أو تسعة وستين، وروى عنها خلق كثير من الصحابة والتابعين، وفضائلها ومناقبها مشهورة معروفة. توفيت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة سبع وخمسين، وقيل سنة ست وخمسين، وقيل سنة ثمان وخمسين، وصلى عليها أبو هريرة، ودفنت بالبقيع ليلاً بعد الوتر، واجتمع على جنازتها أهل المدينة وأهل العوالي وقالوا: لم نر ليلة أكثر نساء من ليلة دفن عائشة رضي الله عنها، [انظر: تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي ٢/ ٣٥٠، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢/ ١٣٥-٢٠١، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ٤/ ٣٥٩].

(٣) (الحديث ٢٧٤١) طرفه في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ٥/ ١٦٦، برقم ٤٤٥٩، وأخرجه مسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه ٣/ ١٢٥٧، برقم ١٦٣٦.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، باب الطاء مع السين ٣/ ١٢٤، والمعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، مادة «الطست» ٢/ ٥٥٧، وفتح الباري، لابن حجر، ١/ ٤٦٠.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير باب الخاء مع النون، ٢/ ٨٢، وانظر: فتح الباري لابن حجر، ٥/ ٣٦٣، وعمدة القاري للعيني، ١٤/ ٣٢.

* «حَجري» الحجر ـ بالفتح والكسر ـ : الثوب والحضن، والمصدر بالفتح لا غير.[١]

○ الدراسة الدعوية للحديث:

في هذا الحديث دروس وفوائد دعوية، منها :

١- الرد بالحكمة على الفرق الضالة.

٢- قبول شهادة النفي من الداعية العالم.

٣- الدفاع عن الدعاة إلى الله تعالى.

٤- من أساليب الدعوة: الاستفهام الإنكاري.

٥- من أساليب الدعوة: التوكيد.

أما الحديث عن هذه الدروس والفوائد الدعوية تفصيلاً فعلى النحو الآتي :

أولاً: الرد بالحكمة على الفرق الضالة:

من وظائف الدعاة إلى الله تعالى الرد على الفرق البدعية، وتبيين وتوضيح ما هم عليه من الباطل، ولكن ينبغي الرد بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن كما قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٢]، ومما يدل على هذه الفائدة في هذا الحديث ما فعلته عائشة رضي الله عنها من الرد على من زعم أن النبي ﷺ أوصى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة من بعده، والسبب في ذلك أن الشيعة قد وضعوا أحاديث في أن النبي ﷺ أوصى بالخلافة لعلي فرد عليهم جماعة من الصحابة عليهم السلام ذلك، وكذا من بعدهم، ومن ذلك ما استدلت به عائشة رضي الله عنها ، وأنها كانت ملازمة لرسول الله ﷺ مدة مرضه إلى أن مات في حجرها، ولم يقع منه شيء من ذلك، ومن ذلك أن علياً لم يدَّعِ ذلك لنفسه حتى ولو بعد أن ولي الخلافة، ولا ذكره

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الحاء مع الجيم، ١/ ٣٤٢.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

أحد من الصحابة يوم السقيفة، ولاشك أن الشيعة تنقَّصوا علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من حيث قصدوا تعظيمه؛ لأنهم نسبوه ـ مع شجاعته العظمى وصلابته في الدين ـ إلى المداهنة والتقية والإعراض عن طلب حقه مع قدرته على ذلك.

ومع ذلك فقد سمع الصحابة جميع ما أوصى به ﷺ ولم يكن من هذه الوصايا: الوصية لعلي بالخلافة. فَمِمَّا رُوِيَ في ذلك أنه ﷺ أوصى بإنفاذ الصدقة بمال كان عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وإنفاذ جيش أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والوصية بأداء الزكاة، والوصية بالحذر من الفتن ولزوم الجماعة والطاعة، وثبت عنه ﷺ أنه أوصى بكتاب الله تعالى، وأن لا يترك في جزيرة العرب دينان، وأوصى بإجازة الوفد بمثل ما كان يجيزهم ويعطيهم، وأوصى بالصلاة وما ملكت الأيمان، وغير ذلك. ولم يكن من هذه الوصايا ما زعم الشيعة أنه أوصى به.[1]

وهذا يبين للداعية أنه ينبغي أن يرد على الفرق الضالة؛ بالأسلوب الحسن، وبالرفق واللين، وبالجدال بالتي هي أحسن، وغير ذلك من الأساليب النافعة.

ثانياً: قبول شهادة النفي من الداعية العالم:

ينبغي للمدعوين أن يثقوا بالدعاة العلماء ويقبلوا أقوالهم بأدلتها الصحيحة العقلية والنقلية؛ ولهذا قال الإمام الأبي رَحِمَهُ اللَّهُ، عن حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «فيه أن الشهادة على النفي من العالم مقبولة»، وبهذا المعنى صار قولها حديثاً، فكأنه بمنزلة قوله: «**لا أُوصي بشيء**».[2]

ولاشك أن قبول أقوال الدعاة المخلصين الصادقين بأدلتها لمن يحتاج إلى ذلك مما ينتفع به المدعوون ويستفيدون منه، فعلى المدعو أن يتقي الله عَزَّوَجَلَّ وأن يقبل الدعوة بأدلتها من الكتاب والسنة، وأن يصدق الدعاة العلماء فيما ينفونه عن الدين والعقيدة، ولا مانع من سؤال الدعاة عن الأدلة والتثبت من أقوالهم من باب العلم والفائدة.

---

(١) انظر: إكمال إكمال المعلم بشرح صحيح الإمام مسلم لمحمد بن خليفة الأبي ٥/ ٦٢٢، وفتح الباري لابن حجر، ٥/ ٣٦١-٣٦٣، وعمدة القاري للعيني، ١٤/ ٣٢.

(٢) إكمال إكمال المعلم شرح صحيح الإمام مسلم للأبي ٥/ ٦٢٢.

ثالثاً: الدفاع عن الدعاة إلى الله تعالى:

لاشك أنه يجب على المدعوين ـ إذا سمعوا من يكذب على الدعاة أو يتهمهم بما ليس فيهم ـ أن يدافعوا عنهم بالصدق والحكمة، كما دافعت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ وردَّت ما قاله الشيعة: من أنه ﷺ أوصى لعلي بالخلافة فقالت: «متى أوصى إليه وقد كنت مسندته إلى صدري. . . ؟» ثم بينت أنها لازمته مدة مرضه ولم يحصل منه ذلك.[١]

وهكذا ينبغي للمدعوين أن يفعلوا ـ مع علمائهم ودعاتهم الصادقين ـ كما فعلت عائشة رضي الله عنها من دفاعها عن رسول الله ﷺ.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام الإنكاري:

الأسلوب: الطريق والفن. يقال: هو على أسلوب من أساليب القوم: أي على طريق من طرقهم. ويقال: أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوِّعة[٢]، وأساليب الدعوة: هي العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ وإزالة العوائق عنه، وهي الطريقة التي يسلكهاالداعية في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه، وتأدية معانيه ومقاصده من كلامه.[٣]

وقد ظهر في هذا الحديث أسلوب الاستفهام الإنكاري حيث قالت عائشة رضي الله عنها منكرة على من زعم أن النبي ﷺ أوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه: «متى أوصى إليه. . . ؟» ثم بينت رضي الله عنها ملازمتها له في مرضه حتى مات، ثم أعادت الاستفهام الإنكاري مرة أخرى فقالت: «فمتى أوصى إليه؟» والاستفهام الإنكاري في الدعوة إلى الله تعالى يظهر منه أنه يحمل التوبيخ والزجر؛ لكن بطريقة حكيمة.[٤]

والله عز وجل قد بين ذلك في كتابه وخاطب به المشركين ومن ذلك قوله سبحانه

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٥/ ٣٦١-٣٦٣، وعمدة القاري للعيني، ١٤/ ٣٢.
(٢) انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي، باب الباء، فصل السين، ص ١٢٥.
(٣) انظر: علوم القرآن، لمحمد بن عبدالعظيم الزرقاني، ٢/ ١٩٩.
(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، ٢/ ٣٢٨.

وتعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾[٢]، وقد ثبت أن النبي ﷺ استخدمه ومن ذلك قوله ﷺ لابن اللتبية ـ حينما جاء بصدقة فدفعها ـ إلى النبي ﷺ فقال: هذا مالكم وهذه هدية أهديت لي، فقال له ﷺ: «**أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك فتنظر أيُهْدَى إليك شيء أم لا؟**».[٣]

خامساً: من أساليب الدعوة: التوكيد:

أسلوب التوكيد له صيغ متعددة وصور مختلفة، وأظهرها التوكيد بالقسم، والتوكيد بالتكرير. والتكرير قد يكون بتكرير الكلمة، أو الجملة أو الآية، أو القصة في القرآن الكريم والسنة المطهرة مرتين أو أكثر.[٤]

والذي ظهر في هذا الحديث من هذه الأنواع هو أسلوب التوكيد بتكرير الكلمة: قالت عائشة رضي الله عنها: «... متى أوصى إليه، وقد كنت مسندته إلى صدري...»، ثم ساقت الحديث وقالت في آخره: «فمتى أوصى إليه؟» وهذا الأسلوب قد كان النبي ﷺ يستخدمه في دعوته، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا سلَّم سلَّم ثلاثاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً.[٥]

***

(١) سورة يونس، الآية: ٥٩.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٤.
(٣) متفق عليه من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه: البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، ٧/ ٢٧٨، برقم ٦٦٣٦، ومسلم، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال ٣/ ١٤٦٣، برقم ١٨٣٢.
(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، ٢/ ٣٨٤ و ٣/ ٨، والإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبدالرحمن بن كمال الدين السيوطي، ٢/ ٨٤٢.
(٥) البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه ٢/ ٣٧، برقم ٩٤.

٣- بَابُ الوَصِيَّةِ بالثُلُثِ

وقال الحسن: لا يجوز للذمي وصية إلا بالثلث، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾. (١)

٥-[٢٧٤٣] حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بنُ سَعيدٍ: حَدَّثَنَا سُفيانُ عَنْ هِشَامٍ، عَنْ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَوْ غَضَّ النَّاسُ إلى الرُّبْعِ، لأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الثُلُثُ والثُلُثُ كَثيرٌ». (٣)

○ شرح غريب الحديث:

* «لو غض الناس»: لو نقصوا وحطوا من الثلث واقتصروا على الربع، و «لو» للتمني فلا يحتاج إلى جواب، وإن قيل إنها شرطية فيكون جوابها محذوفاً تقديره: لكان أولى. (٤)

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٩.

(٢) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب شيبة بن هاشم أبو العباس ابن عم رسول الله ﷺ، ولد بشعب بني هاشم حين حاصرتهم قريش فيه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، وانتقل مع أبويه إلى دار الهجرة عام الفتح، وقد أسلم قبل ذلك، فقد صح عنه أنه قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين: أنا من الولدان وأمي من النساء، وصحب النبي ﷺ نحواً من ثلاثين شهراً، ودعا له بالفقه في الدين والعلم بالتأويل فقال: «اللهم فقهه في الدين»، وفي لفظ: «اللهم علمه الحكمة»، وفي لفظ: «اللهم علمه الكتاب»، [انظر: البخاري مع الفتح ٧/ ١٠٠، ١٣/ ٢٤٥، ١/ ١٦٩، ٢٤٤، ومسلم ٤/ ١٩٢٧].
وروي عن النبي ﷺ علماً كثيراً، وهو أكثر الصحابة ﷺ فتوى، وقد رُوِيَ له عن النبي ﷺ ألف وستمائة وستون حديثاً ١٦٦٠، اتفق البخاري ومسلم على خمسة وتسعين منها، وانفرد البخاري بمائة وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين، وروى العلم عنه خلق كثير، ذكر منهم في التهذيب مائة وسبعة وتسعين نفساً ١٩٧٠، قال عبيدالله بن عبدالله بن عتبة: ما رأيت أحداً أعلم من ابن عباس بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ، وبقضاء أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ، ولا أفقه منه، ولا أعلم بتفسير القرآن، وبالعربية والشعر، والحساب والفرائض. وكان يجلس يوماً للفقه، ويوماً للتأويل، ويوماً للمغازي، ويوماً للشعر، ويوماً لأيام العرب، وما رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له، ولا سائلاً سأله إلا وجد عنده علماً. توفي النبي ﷺ وعمره ثلاث عشرة سنة، وقيل عاش إحدى وسبعين سنة، توفي بالطائف سنة ثمان وستين، وقيل سنة سبع وستين، وقيل تسع وستين ﷺ. [انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ٢٧٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٣١-٣٥٩، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٢/ ٣٣٠].

(٣) وأخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، ٣/ ١٢٥٣، برقم ١٦٢٩.

(٤) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين لمحمد بن أبي نصر الحميدي، ص ١٥٠ وجامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ لابن الأثير ١١/ ٦٣٢، وفتح الباري لابن حجر، ٥/ ٣٧٠ وعمدة القاري للعيني، ١٤/ ٣٦، وشرح الكرماني على صحيح البخاري ١٢/ ٦٢.

○ الدراسة الدعوية للحديث:

في هذا الحديث دروس وفوائد دعوية، منها:

١- من صفات الداعية: الرحمة

٢- من صفات الداعية: الفهم والفقه

والحديث عن هذين الدرسين والفائدتين الدعويتين على النحو الآتي:

أولاً: من صفات الداعية: الرحمة:

لاشك أنه ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يعطف على المدعوين ويرحمهم، وهذه صفة عظيمة من صفات الدعاة إلى الله تعالى؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**»(١)، وقال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»(٢)، وقال: «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**»(٣)، «**. . . إن أبعد الناس من الله القلب القاسي**»(٤).

وتظهر الرحمة في هذا الحديث أن ابن عباس رضي الله عنهما رغب أن يغض الناس من الوصية بالثلث إلى الربع رحمة بورثتهم ورغبة في الإحسان إليهم حتى لا يتكففون الناس؛ ولأن الصدقة عليهم أفضل من غيرهم؛ لأنهم أولى بها من غيرهم.

ثانياً: من صفات الداعية: الفهم والفقه:

الفقه لغة: العلم بالشيء والفهم له، والفطنة، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه، وفضله على سائر أنواع العلم(٥)؛ ولهذا دعا ﷺ لابن عباس

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، ٨/ ٢٠٨، برقم ٧٣٧٦، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمة الصبيان والعيال ٤/ ١٨٠٩، برقم ٢٣١٩.

(٢) أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة ٤/ ٢٨٥، برقم ٤٩٤١، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين ٤/ ٣٢٤، برقم ١٩٢٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢/ ١٨٠.

(٣) أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة ٤/ ٢٨٦، برقم ٤٩٤٢، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين ٤/ ٣٢٣، برقم ١٩٢٣، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ٢/ ١٨٠.

(٤) الترمذي، كتاب الزهد، باب ٦١، ٤/ ٦٠٧، برقم ٢٤١١، وحسنه عبدالقادر الأرنؤوط في تحقيقه للأذكار للنووي ص ٢٨٥.

(٥) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ١٣/ ٥٢٢، مادة «فقه»، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي، ص ١٦١٤.

رضي الله عنهما بالفقه فقال: «**اللهم فقهه في الدين**»[١]، والمعنى اللهم فَهِّمْه الدين؛ **والفقه**: الفهم كما قال تعالى: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ﴾[٢] أي ليكونوا علماء به.

وهذه الصفة العظيمة مهمة للداعية، وقد رزق الله ابن عباس الفقه في الدين استجابة لدعوة رسول الله ﷺ، ومما يدل على فقهه ما قاله في هذا الحديث: «لو غض الناس إلى الربع»؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «الثلث والثلث كثير» قال ابن دقيق العيد رحمه الله في قول ابن عباس رضي الله عنهما: «لو غض الناس إلى الربع»: قد استنبطه ابن عباس من لفظ «كثير»[٣]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله «وكأن ابن عباس رضي الله عنهما أخذ ذلك من وصفه ﷺ: الثلث بالكثرة».[٤]

وهذا يدل على فقه ابن عباس رضي الله عنهما، ولا غرابة فهو حبر الأمة، ويدل على أهمية الفقه للداعية إلى الله تعالى، فعلى الداعية أن يسأل الله عز وجل الفقه في الدين، وأن يتحصن بالعلم الشرعي: علم الكتاب والسنة.

***

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء ١/ ٥١، برقم ١٤٣، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل ابن عباس رضي الله عنهما ٤/ ١٩٢٧، برقم (٢٤٧٧).
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.
(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ٢/ ١٦٤.
(٤) فتح الباري ٥/ ٣٧٠.

٦- بابٌ لا وَصيَّةَ لِوارِثٍ

٦-[٢٧٤٧] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ يُوسُفَ، عَنْ وَرْقاءَ، عَنْ ابنِ أَبي نَجيْحٍ، عَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ[(١)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ المَالُ لِلْوَلَدِ، وَكَانَتِ الوَصيَّةُ لِلوَالِدَينِ، فَنَسَخَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَحَبَّ، فَجَعَلَ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ، وَجَعَلَ لِلأَبَوَينِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسَ، وَجَعَلَ لِلمَرْأَةِ الثُّمُنَ وَالرُّبُعَ، وللزَّوجِ الشَّطْرَ والرُّبُعَ». [(٢)]

○ شرح غريب الحديث:

* «**فنسخ الله من ذلك ما أحب**» النسخ: أمر كان يعمل به من قبل، ثم ينسخ بحادثٍ غيره، كالآية ينزل فيها أمر ثم تنسخ بآية أخرى، وكل شيء خَلَفَ شيئاً فقد نسخه: أي أبطله وقام مقامه، والأول منسوخ والثاني ناسخ، يقال: نسخت الشمس الظل: أي أزالت الظل وحلت محله. [(٣)]

* «**الشطر**» النصف. [(٤)]

○ الدراسة الدعوية للحديث:

في هذا الحديث دروس وفوائد دعوية، منها:

١- أهمية تبليغ العلم النافع للناس.

٢- عناية الإسلام بحقوق الإنسان.

٣- من موضوعات الدعوة: بيان الناسخ والمنسوخ.

والحديث عن هذه الدروس والفوائد الدعوية على النحو الآتي:

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٥ ـ ٢٧٤٣.

(٢) (الحديث ٢٧٤٧)، طرفاه في: كتاب التفسير، باب ﴿ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ ﴾، ٥/ ٢١٠، برقم ٤٥٧٨، وكتاب الفرائض، باب ميراث الزوج مع الولد وغيره، ٨/ ٨، برقم ٦٧٣٩.

(٣) انظر: معجم المقاييس في اللغة، لابن فارس، مادة «نسخ» ص ١٠٢٦، ولسان العرب لابن منظور، باب الخاء فصل النون، ٣/ ٦١، وتفسير القرطبي ٢/ ٦٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الشين مع الطاء ٢/ ٤٧٣.

أولاً: أهمية تبليغ العلم النافع للناس:

دل مفهوم هذا الحديث على أهمية تبليغ العلم النافع للناس؛ فإن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قد بلغ في هذا الحديث علم الفرائض ـ الذي هو نصف العلم ـ وبينه للناس بياناً واضحاً؛ فقد بين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن المال الذي يُخَلِّفه الميت كان يأخذه أولاده ميراثاً، وكانت الوصية في أول الإسلام واجبة للوالدين والأقربين على ما يراه الموصي من المواساة والتفضيل، ثم نسخ الله عَزَّوَجَلَّ من ذلك ما أحب وحدد الفرائض وأعطى كل ذي حق حقه.[(١)]

فينبغي للدعاة إلى الله تعالى أن يقتدوا بحبر الأمة ويبلِّغوا العلم النافع للناس؛ لقوله ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»[(٢)]، ودعا ﷺ بالنَّضَارة، وهي: النعمة والبهجة لمن بلغ عنه عليه الصلاة والسلام، فقال: «**نَضَّرَ اللهُ امرأً سَمِعَ مِنَّا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فَرُبَّ حَامِلِ فقهٍ إلى من هو أفقه منه، ورُبَّ حامِلِ فِقْهٍ ليس بفقيهٍ**»[(٣)]، وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**نَضَّرَ اللهُ امرأً سمع مقالتي فوعاها، وحفظها وبلّغها، فَرُب حامل فِقهٍ إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يَغِلُّ[(٤)] عليهنَّ قَلْبُ مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإن الدعوة تُحيط من ورائهم**»[(٥)]، فعلى الدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ أن يرغبوا في هذا الفضل العظيم، وهذه الدعوة المباركة. والله المستعان.

---

(١) انظر: عمدة القاري للعيني، ١٤/ ٣٨، وإرشاد الساري للقسطلاني، ٥/ ٨، ٩/ ٤٣٣.

(٢) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٤/ ١٧٥، برقم ٣٤٦١.

(٣) أبو داود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم ٣/ ٣٢٢، برقم ٣٦٦٠، من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ٥/ ٣٣، برقم ٢٦٥٦. وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢/ ٣٨٨.

(٤) يَغِلُّ: من الغل: الحقدُ والضِّغن، أي لا يدخل قلبه شيءٌ من الحقد يزيله عن الحق، ويُروى بضم الياء وكسر الغين: «يُغِلُّ» ومعناه الخيانة، والإغلال الخيانة في كل شيء، والمعنى: أن هذه الخصال الثلاث تصلح بها القلوب، فمن تمسك بها طهر قلبه من الدغل والقساوة.
انظر: جامع الأصول لابن الأثير ١/ ٢٦٧-٢٦٨.

(٥) الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ٥/ ٣٤ برقم ٢٦٥٨، وأحمد في المسند، ١/ ٤٣٧، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ١/ ٧٨، وعبدالقادر الأرنؤوط في جامع الأصول ١/ ٢٦٦.

ثانياً: عناية الإسلام بحقوق الإنسان:

يظهر في هذا الحديث جلياً أن الإسلام حفظ حقوق الإنسان واعتنى بها عناية فائقة، وهذا يبين أنه الدين الذي يصلح لكل زمان ومكان؛ فإنه تكفل بما يعود على الإنسان المسلم بالسعادة في الدنيا والآخرة.

ويؤخذ من هذا الحديث امتياز الإسلام وحفظه للحقوق الإنسانية، وذلك لأمور:

١- الإسلام أبطل نظام الجاهلية الذي ينقل مال الميت إلى الكبير من أبنائه، فإن لم يكن له أبناء فإلى أخيه أو عمه، فلا يورِّثون الصغار، ولا الإناث؛ بحجة أن هؤلاء لا يحمونهم، ولا يقاتلون معهم، ولا يحوزون المغانم[(١)]، فجاء الإسلام يهدم عادات الجاهلية قال الله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[(٢)]، فحفظ الإسلام حقوق الناس ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً، وأعطى كل ذي حق حقه، فعن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته عام حجة الوداع: «**إن الله تعالى قد أعطى كلَّ ذي حق حقه فلا وصية لوارث**»[(٣)]، فإذا كانت الجاهلية راعت الأقوياء وحرمت الضعفاء من الميراث، فإن الإسلام راعى هؤلاء الضعفاء؛ لأنهم أحق بالعطف، ولم يحرم الإسلام الأقوياء من الميراث، فكل من توفر فيه سبب من أسباب الإرث، وانتفى عنه المانع ورث كبيراً كان أو صغيراً، ذكراً كان أم أنثى، قوياً أم ضعيفاً.[(٤)]

٢- الإسلام يُقَوِّي أواصر القرابة بين الناس، ويحكم الصلة بينهم بصلة الرحم، كما قال تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[(٥)]،

---

(١) انظر: تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ٧/ ٥٩٧-٥٩٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧.

(٣) الترمذي، كتاب الوصايا، باب ما جاء لا وصية لوارث، ٤/ ٤٣٣، برقم ٢١٢٠، وابن ماجه، في كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث ٢/ ٩٠٥، برقم ٢٧١٣، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢/ ٢١٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» ٧/ ٥٩٨، والتحقيقات المرضية في المباحث الفرضية، للدكتور صالح بن فوزان الفوزان ص ١٩.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

فهو يقدم الذرية بالإرث على الأصول وعلى بقية القرابة، ومع هذا فلا يحرم الأصول ولا بقية القرابات، بل يجعل لكل ذي نصيب نصيبه[١]، وهذا نظام العدالة والمواساة والرحمة: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٢].

٣- الإسلام يحترم الملكية الفردية، فنظام التوريث يعطينا دلالةً واضحةً على احترام هذا الدين للملكية الفردية؛ لأنه يسلم الثروة التي يخلفها الميت إلى يد وارثه موفورة محترمة؛ لقوله ﷺ: «**ومن ترك مالاً فلورثته**»[٣]، وهذا من أكبر الدوافع التي تقوي نشاط أهل الأموال إلى الاستثمار، وبذل الجهد في ذلك؛ لأن الإنسان الذي يعرف أن الأموال التي بذل جهده في جمعها تصير بعد ذلك إلى غير ورثته ولا ينتفع بها أولاده لا يحافظ عليها، ولا يحميها. وهذا يدل على سماحة الإسلام وحفظه لحقوق الإنسان كما قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[٤].

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بيان الناسخ والمنسوخ:

الإسلام نسخ جميع الشرائع السابقة، ومعلوم أن أصل دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واحد، وهو «التوحيد»، أما الشرائع فقد نسختها شريعة محمد ﷺ؛ لأن الله ختم بها جميع الشرائع، وأرسله إلى الإنس والجن، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٥]، وحديث ابن عباس يظهر منه جلياً وقوع النسخ، ولهذا قال ابن حجر رحمه الله على قول ابن عباس رضي الله عنهما: «فنسخ من ذلك ما أحب»: «وفيه رد على من أنكر النسخ»[٦]،

---

(١) انظر: التحقيقات المرضية للفوزان، ص ٢٠.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٢.
(٣) البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب الصلاة على من ترك ديناً ٣/١١٦، برقم ٢٣٩٨.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٨/ ٢٤٥.

ولاشك أن الإسلام نسخ جميع الشرائع السابقة بالإجماع[١]، ولهذا قال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني، ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار**»[٢].

فالداعية إلى الله تعالى قد يحتاج إلى بيان الناسخ من المنسوخ في هذه الشريعة كما تال تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣]، وقد يحتاج إلى بيان نسخ الشريعة الإسلامية لجميع الشرائع السابقة، وذلك في دعوته لغير المسلمين، وخاصة أهل الكتاب، فعليه أن يلمَّ بذلك إلماماً جيداً؛ قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: «معرفة هذا الباب أكيدة، وفائدته عظيمة لا يستغني عن معرفته العلماء، ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء؛ لما يترتب عليه من النوازل في الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام»[٤].

فينبغي للداعية أن يسلك طريق الحكمة في بيان أن الشريعة الإسلامية ناسخة لجميع الشرائع السابقة، وأن يبين للناس: الناسخ والمنسوخ عن علم وبصيرة، على حسب ما يحتاجه المدعو.

***

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٨/ ٢٤٥.
(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، ١/ ١٣٤، برقم (١٥٣).
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٢/ ٦٦.

١١- بَابٌ هَلْ يَدخُلُ النِّسَاءُ وَالْوَلَدُ فِي الأَقَارِبِ؟

٧-[٢٧٥٣] حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بنُ الْمُسَيَّبِ وأَبُو سَلَمَةَ بنُ عَبدِ الرَّحمٰنِ: أَنَّ أَبا هُرَيْرَةَ[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قال: «يَا مَعْشَرَ قُرَيشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِن اللهِ شَيْئاً. يَا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً. يَا عَبَّاسُ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ، لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً. يَا صَفِيَّةُ عمةَ رسولِ الله، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئاً. ويَا فَاطِمَةُ بِنتَ مُحَمدٍ، سَلِيني مَا شِئْتِ مِن مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً». [2]

وفي رواية: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، يَا أُمَّ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ اشْتَرِيا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللهِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً سَلانِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا». [3]

---

(١) أبو هريرة الإمام الفقيه الحافظ الداعية العظيم المبلغ عن رسول الله ﷺ العلم الكثير، اختلف في اسمه على نحو ثلاثين قولاً، الراجح منها أن اسمه: عبدالرحمن بن صخر الدوسي بلَّغ عن رسول الله ﷺ «٥٣٧٤» حديثاً. اتفق البخاري ومسلم على «٣٢٦» حديثاً، وانفرد البخاري بـ «٩٣» حديثاً، ومسلم بـ «٩٨» حديثاً، فقد حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وهذا بفضل الله تعالى ثم بدعوة النبي ﷺ له، فقد قال رضي الله عنه: تزعمون أني أكثر الرواية عن رسول الله ﷺ والله الموعدُ - أي يحاسبني إن تعمدت كذباً - كنت رجلاً مسكيناً أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، وإنه حدَّث ﷺ يوماً فقال: «من يبسط ثوبه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضهُ فلن ينسى شيئاً سمعه مني»، فبسطت بُردةً كانت علي، فوالذي بعثه بالحق ما نسيت شيئاً سمعته منه. [البخاري برقم ٧٣٥٤، ومسلم برقم ٢٤٩٢]، وقد حدَّث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، قال البخاري: روى عنه ثمانمائة أو أكثر، وكان مع ذلك عاملاً بعلمه متواضعاً؛ ولهذا كان خليفة لمروان، فجاء يحمل حزمة حطب في السوق فقال: أوسع الطريق للأمير. مات رضي الله عنه سنة سبع وخمسين، وقيل سنة ثمان، وقيل: سنة تسع، والراجح كما قال البخاري وابن حجر أنه مات سنة سبع وخمسين، وله ثمان وسبعون سنة رضي الله عنه. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٢/ ٥٧٨-٦٣٢، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ٤/ ٢٠٢-٢١١.

(٢) [الحديث ٢٧٥٣]، طرفاه: في كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية ٦/ ٥٥١، برقم ٣٥٢٧ وفي كتاب التفسير، ٢٦- سورة الشعراء، باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ ٨/ ٥٠١ برقم ٤٧٧١، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ ١/ ١٩٢، برقم ٢٠٤، ورقم ٢٠٦.

(٣) من الطرف رقم ٣٥٢٧.

○ شرح غريب الحديث:

* «**العشيرة**» عشيرة الرجل: بنو أبيه الأقربون وقبيلته.[١]

* «**يا معشر قريش**» المعشر: كل جماعةٍ أمرهم واحد، نحو: معشر المسلمين، معشر المشركين، ومعاشر: جماعات الناس[٢]، ويا معشر: مثل قوله: يا بني فلان، يا بني فلان[٣]، فقوله: «يا معشر قريش» أي يا جماعة، أو يا قبيلة قريش.

* «**اشتروا أنفسكم من الله**» العبد مشترٍ لنفسه باعتبار تخليصها من العذاب، بائع باعتبار تحصيل الثواب[٤]، كأنه قال: أسلموا تسلموا من العذاب، فكان ذلك كالشراء، كأنهم جعلوا طاعة الله ثمن النجاة[٥]، أما قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾[٦]، فالمؤمن في هذا المقام بائع باعتبار تحصيل الثواب والثمن الجنة.[٧]

* «**أنقذوا أنفسكم من النار**» من الإنقاذ: خلّصوها من النار بترك أسبابها والاشتغال بأسباب الجنة[٨]، يقال: أنقذت فلاناً: إذا خلصته مما يكون قد وقع فيه أو شارف أن يقع فيه.[٩]

* «**لا أغني**» أي: لا أدفع، والمعنى لا تتكلوا على قرابتي فإني لا أقدر على دفع مكروه يريده الله تعالى بكم.[١٠]

---

(١) انظر: مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مادة «عشر» ص ١٨٢، والمعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، مادة «عشر» ٢/ ٦٠٢.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور، باب الراء، فصل العين، ٤/ ٥٧٤.

(٣) انظر: عمدة القاري للعيني ١٩/ ١٠٢.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور، باب الباء، فصل الشين، ١٤/ ٤٢٨، و شرح الكرماني على صحيح البخاري ١٤/ ١٣١، وعمدة القاري للعيني، ١٦/ ٩٣.

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٨/ ٥٠٣.

(٦) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٧) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٨/ ٥٠٣.

(٨) انظر: المقاييس في اللغة لابن فارس، كتاب النون، باب النون والقاف، مادة «نقذ» ص ١٠٤٤، وغريب ما في الصحيحين للحميدي ص ٣١٥، وحاشية السندي على سنن النسائي ٦/ ٢٤٨.

(٩) انظر: لسان العرب لابن منظور، باب الباء، فصل العين، ١٥/ ١٣٧، وجامع الأصول لابن الأثير، ٢/ ٢٩٢.

(١٠) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٣/ ٨٠.

○ الدراسة الدعوية للحديث:

في هذا الحديث دروس وفوائد دعوية، منها:

١- دعوة الأقربين.
٢- التدرج في الدعوة.
٣- من صفات الداعية: الصدق.
٤- قرب المدعو من أهل الفضل لا ينفع إلا بالعمل الصالح.
٥- أهمية ربط المدعوين بخالقهم.
٦- من وسائل الدعوة: الخطبة.
٧- من وسائل الدعوة: البروز للناس على مكان مرتفع.
٨- اختيار الداعية الوقت المناسب للمدعوين.
٩- من وسائل الدعوة: التأليف بالمال.
١٠- من وسائل الدعوة: التأليف بالجاه والنسب.
١١- من أساليب الدعوة: النداء بالأنساب والكنى.
١٢- من أساليب الدعوة: التكرير بالإنذار.
١٣- من أساليب الدعوة: الترهيب.
١٤- من أساليب الدعوة: الترغيب.

والحديث عن هذه الدروس والفوائد الدعوية على النحو الآتي:

أولاً: دعوة الأقربين:

مما لا شك فيه أنه يلزم الداعية إلى الله تعالى أن يعتني بأقاربه عناية خاصة؛ لأن الله ﷻ أمر نبيه محمداً ﷺ أن ينذر عشيرته الأقربين؛ وأنهم أحق الناس بالنصيحة والتوجيه والإحسان؛ ولهذا قال ﷺ: «**الصدقةُ على المسكين صدقةٌ، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقةٌ وصلةٌ**»[1]، ولاشك أن دعوة العشيرة

(١) أحمد في المسند، ٢/ ١٧، ١٨، ٢١٤، والنسائي، كتاب الزكاة، باب الصدقة على الأقارب ٥/ ٩٢، برقم ٢٥٨٢، والترمذي، وحسنه، في كتاب الزكاة، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة ٣/ ٣٨، برقم ٦٥٨، وابن ماجه، في كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة ١/ ٥٩١، برقم ١٨٤٤ من حديث سليمان بن عامر=

الأقربين وتوجيههم إلى سعادتهم الأبدية أعظم وأولى من الصدقة بالمال.

والناس في الغالب ينظرون إلى قرابة الداعية، ومدى تطبيقهم لما يدعو إليه؛ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والسر في الأمر بإنذار الأقربين أولًا، أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع، وأن لا يأخذه ما يأخذ القريب من العطف والرأفة، فيحابيهم في الدعوة والتخويف، فلذلك نَصَّ له على إنذارهم»[(١)]. ولهذا كان عمر رضي الله عنه إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله فقال: «إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة».[(٢)]

ثانياً: التدرج في الدعوة:

بدأ رسول الله ﷺ بالدعوة السرية بعد أن أمرهُ الله تعالى بإنذار قومه عاقبة ما هم فيه من الشرك، وما هم عليه من الكفر والفساد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾[(٣)]، وبعد هذه الآيات بدأ رسول الله ﷺ يعرض الإسلام على من يعرفهم ويعرفونه: يعرفهم بحب الخير والحق، ويعرفونه بتحري الصدق والصلاح، فأجابه من هؤلاء جمع عرفوا بالسابقين الأولين. ثم أنزل الله تعالى بعد ذلك ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[(٤)]، وهذا أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ بتبليغ رسالته قومه وجميع من أرسل إليه[(٥)]، وأمره تعالى بإنذار عشيرته الأقربين، فبدأ ﷺ دعوته الجهرية بإنذارهم. وقد بين الإمام ابن القيم رحمه الله ترتيب الدعوة للنبي ﷺ وأنها على الترتيب الآتي:

= الضبي رضي الله عنه. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ١/ ٢٠٢.

(١) فتح الباري ٨/ ٥٠٣، وانظر: هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري، لعبدالرحيم الطهطاوي، ٢/ ٣٤١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك، للطبري ٢/ ٦٨، والكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣/ ٣١.

(٣) سورة المدثر، الآيات: ١-٧.

(٤) سورة الحجر، الآيتان: ٩٤-٩٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» ٧/ ١٥١.

الأولى : النبوة.
الثانية : إنذار عشيرته الأقربين.
الثالثة : إنذار قومه.
الرابعة : إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله : وهم العرب قاطبة.
الخامسة : إنذار جميع من تبلغه دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر.(١)

وهذا الحديث في هذا الباب دل على الدرجة الثانية؛ فينبغي للداعية أن يراعي ويسلك طريق النبي ﷺ في دعوته.

ثالثاً: من صفات الداعية: الصدق

الصدق من أهم صفات الداعية إلى الله تعالى، وفي هذا الحديث دليل على التحرز من الكذب وتحري الصدق؛ لأن الراوي نقل عن النبي ﷺ قوله: «**يا معشر قريش أو كلمة نحوها**» وهذا شك من الراوي هل قال النبي ﷺ هذه الكلمة أو ما معناه.(٢)

ولاشك أن الصدق من أهم الصفات للداعية، وخاصة في ثلاثة مجالات:

١- الصدق في النية والقصد، وهذا يستلزم الإخلاص في الدعوة لله تعالى، وفي كل طاعة وقربة.

٢- الصدق في القول، وهذا يستلزم أن لا ينطق الداعية بالباطل أيّاً كانت صورته: كذباً، أو شتماً، أو سباباً، أو غشاً، أو غيبة، أو نميمة، أو غير ذلك من الألفاظ القبيحة.

٣- الصدق في العمل، وهو مطابقة الأقوال والأعمال للحق الذي يدعو إليه الداعية، فيعمل بما يدعو إليه قولا وعملاً.(٣)

فعلى الداعية أن يكون صادقاً في جميع المجالات؛ ولهذا قال الله تعالى:

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ١/ ٨٦.
(٢) بهجة النفوس وتحليتها بمعرفة ما لها وما عليها، شرح مختصر صحيح البخاري، لعبدالله بن أبي جمرة الأندلسي ٣/ ٩١.
(٣) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، ٢/ ٢٦٨.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[١].

رابعاً: قرب المدعو من أهل الفضل لا ينفع إلا بالعمل الصالح:

لا ريب أن المدعو إذا كان قريب النسب أو الجوار لأهل الفضل لا ينفعه ذلك إلا بالعمل؛ ولهذا قال ﷺ في ندائه لبطون قريش: «**لا أغني عنكم من الله شيئاً**»، وقال لفاطمة بنته: «**لا أغني عنك من الله شيئاً**»، قال الإمام الحافظ ابن العربي رحمه الله في الكلام على هذه الجملة: «هذاكلام بديع، فهذا نوح عليه السلام لما كفر ابنه لم تنفعه بنوته، وهذا إبراهيم ﷺ لما كفر أبوه لم تنفعه أبوته، كذلك أبو طالب لم تنفعه عمومته للنبي ﷺ ولم تنجه من العذاب، وفي هذا بيان أن العصمة بالعمل الصالح لا بالقرابة، قال ﷺ: «. . . **ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه**»[٢]، وكذلك الصلة بسبب النكاح لا تنفع إلا بالإيمان، وقد بين الله ذلك سبحانه في قوله: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ﴾[٣]، وفي قوله: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾[٤]، فلم تنتفع زوجتا نوح ولوط بإيمان زوجيهما، ولم يضر امرأة فرعون كفر زوجها فرعون».[٥]

فينبغي أن يُعْلَمْ أن رؤية أهل الفضل أو القرب من العلماء والصالحين ومخاطبتهم لا تنفع إلا إذا وقع الاقتداء بهم، وكلما قوي الاقتداء والعمل الصالح قوي القرب والانتفاع بإذن الله تعالى.[٦]

خامساً: أهمية ربط المدعوين بخالقهم:

ينبغي للداعية أن يبين للناس أنهم بحاجة إلى ربهم في جميع أمورهم، وأنهم ملك لله تعالى، وهم فقراء إليه؛ ولهذا قال ﷺ: «**اشتروا أنفسكم من الله**»، قال

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٩.
(٢) أخرجه مسلم، في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ٤/ ٢٠٧٤، برقم ٢٦٩٩.
(٣) سورة التحريم، الآية: ١٠.
(٤) سورة التحريم، الآية: ١١.
(٥) عارضة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للحافظ ابن العربي ٦/ ٢٧٢.
(٦) انظر: بهجة النفوس لابن أبي جمرة ٣/ ٩١.

الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «فيه إشارة إلى أن النفوس كلها ملك لله تعالى، وأن من أطاعه في امتثال أوامره واجتناب نواهيه وفَّىٰ ما عليه من الثمن». [١]

وقوله ﷺ: «**اشتروا أنفسكم من الله**» فقد بين الشراء ولم يبين الثمن الذي يُشترى به، وقد بينه الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ . . . ﴾[٢]، والشراء يجوز أن يطلق على البائع والمبتاع؛ لأن كل واحد منهما في الحقيقة بائع ومشترٍ، فالمؤمن الحقيقي ليس له في نفسه شيء، وإنما هو عليها أمين مثل الوصي على مال اليتيم، ينفق عليه بالمعروف[٣]، فعلى الداعية أن يسلك منهج النبي ﷺ في ربط المدعوين بخالقهم تعالى.

سادساً: من وسائل الدعوة: الخطبة:

الخطبة من الوسائل الحية في الدعوة إلى الله تعالى، وتبرز في هذا الحديث؛ لقول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «قام رسول الله ﷺ» ويبين ذلك الرواية الأخرى: من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، بأن النبي ﷺ صعد على الصفا فجعل ينادي. [٤] وهذا يبين أن النبي ﷺ خطبهم على الصفا، وعم وخص وأنذر ﷺ.

فينبغي للداعية أن يعتني بالخطبة، ويحضر لها تحضيراً جيداً دقيقاً؛ لما لها من التأثير في قلوب المدعوين؛ ولأن الخطبة في الغالب يجتمع لها الجمع الغفير في معظم الأحيان.

سابعاً: من وسائل الدعوة: البروز للناس على مكان مرتفع:

من الوسائل المهمة أن يبرز الداعية على مكان مرتفع يراه الناس أمام أعينهم، وخاصة إذا كان الجمع غفيراً، حتى يسمع الناس ما يقول؛ ولهذا شرع الصعود على المنبر في خطب الجمع، كما كان يفعل ﷺ، وقد ذكر الإمام ابن العربي

---

(١) فتح الباري ٨/ ٥٠٣.
(٢) سورة التوبة، الآيتان: ١١١-١١٢.
(٣) انظر: بهجة النفوس لابن أبي جمرة، ٣/ ٩٢.
(٤) انظر: صحيح البخاري ٦/ ١٩، الحديث رقم ٤٧٧٠، وانظر: فتح الباري لابن حجر، ٨/ ٥٠١.

معنى ذلك، وأن النبي ﷺ صعد الصفا يريد الإسماع؛ ولذلك شرع للمؤذن صعود السطوح والمواضع المرتفعة؛ ليكون أقوى لصوته، وأسمع له.[١]

فعلى الداعية أن يعتني بهذه الوسيلة عند الحاجة إليها.

ثامناً: اختيار الداعية الوقت المناسب للمدعوين:

لاشك أنه ينبغي للداعية أن يختار الأوقات المناسبة للمدعوين، حتى يستطيع بتوفيق الله تعالى ـ أن يؤثر عليهم؛ ولهذا اختار النبي ﷺ وقت الصباح حينما بدأ بإنذار قريش؛ لكون هذا الوقت أنسب لهم، وأسمع لصوته.[٢]

فينبغي للداعية أن يتحرى أوقات الفراغ والنشاط والحاجة عند المدعوين؛ ولهذا قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا»[٣]، والمعنى كان ﷺ يراعي الأوقات في تذكيرهم.[٤]

تاسعاً: من وسائل الدعوة: التأليف بالمال:

لاشك أن التأليف بالمال من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وقد أشار إليه هذا الحديث في قوله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: «**سليني من مالي ما شئت**» قال العيني رحمه الله: «فيه أن الائتلاف للمسلمين وغيرهم بالمال جائز وفي الكافر آكد»[٥]، فينبغي للداعية أن يكون كالطبيب الذي يشخص المرض أولًا، ثم يعطي العلاج على حسب نوع المرض، فإذا علم الداعية أن المدعو بحاجة إلى التأليف بالمال أعطاه؛ ولهذا كان النبي ﷺ يعتني بهذه الوسيلة عناية فائقة حتى قال: «**إني أعطي الرجل وغيره أحب إلي منه، خشية أن يُكبَّ في النار على وجهه**»[٦]،

---

(١) انظر: عارضة الأحوذي بشرح سنن الترمذي لابن العربي، ٦/ ٢٧٠، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ٥٠٢.
(٢) انظر: عارضة الأحوذي، بشرح سنن الترمذي، لابن العربي، ٦/ ٢٧٠.
(٣) البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ١/ ٢٩، برقم ٦٨.
(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر، ١/ ١٦٢.
(٥) عمدة القاري ١٤/ ٤٨.
(٦) متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: البخاري، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة ١/ ١٥، رقم ٢٧، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تأليف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه ١/ ١٣٢، برقم ١٥٠.

وقد كان ﷺ يعطي أشراف قريش وغيرهم من المؤلفة قلوبهم؛ لتلافي أحقادهم؛ ولأن الهدايا تجمع القلوب، وتجعل القلوب متهيئة للنظر في صدق الدعوة، وصحة العقيدة، والاستفادة من الآيات البينات، والبراهين الواضحة.

وصدق ﷺ حيث قال: «**تهادوا تحابوا**»[١]، وللتأليف بالمال أمثلة كثيرة من هديه ﷺ[٢]، فينبغي للداعية أن يسلك هذا المسلك عند الحاجة إليه.

عاشراً: من وسائل الدعوة: التأليف بالجاه والنسب:

من الوسائل النافعة في الدعوة إلى الله تعالى: التأليف بالجاه أو بالنسب؛ وفي هذا الحديث ما يشير إلى ذلك عنه ﷺ حيث قال: «**ويا صفية عمة رسول الله.. ويا فاطمة بنت محمد**»، فكأنه ﷺ يرقق قلب صفية وفاطمة رضي الله عنهما لما لهما من القرابة منه ﷺ، وقد نادى ﷺ عباس بن عبدالمطلب، وصفية بنت عبدالمطلب، وفاطمة بنت محمد لشدة قرابتهم منه[٣]، وقد استخدم النبي ﷺ التأليف بالجاه؛ فقال ﷺ للأنصار حينما آثر عليهم غيرهم في العطاء: «**أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رحالكم برسول الله ﷺ؛ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به**» فقالوا: «بلىٰ يا رسول الله قد رضينا»[٤].

وفي رواية: «**... لو سلك الناس وادياً أو شعباً، وسلكت الأنصار وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار**»[٥].

فينبغي للداعية أن يسلك منهج رسول الله ﷺ في دعوته إلى الله تعالى.

---

(١) البيهقي في السنن الكبرى ٦/ ١٦٩، والبخاري في الأدب المفرد ص ٢٠٨، برقم ٥٩٤، وحسن إسناده ابن حجر في التلخيص الحبير ٣/ ٧٠، وانظر: إرواء الغليل للألباني برقم ١٦٠١.

(٢) انظر: البخاري مع الفتح ٣/ ١٣٥، ٦/ ٢٥٠، ١١/ ٢٥٨، وصحيح مسلم ٤/ ١٨٠٣-١٨٠٦.

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ٨٠.

(٤) البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم ٤/ ٧١، برقم ٣١٤٧، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم وتصبر من قوي إيمانه ٢/ ٧٣٤، برقم ١٠٥٩.

(٥) مسلم، كتاب الزكاة، الباب السابق ٢/ ٧٣٥، برقم ١٠٥٩.

الحادي عشر: من أساليب الدعوة: النداء بالأنساب والكنى:

ظهر في هذا الحديث أن النبي ﷺ استعمل النداء بالأنساب والكنى في دعوته إلى الله تعالى فقال: «**يا بني كعب بن لؤيّ . . . ، يا بني مرة بن كعب . . . ، يا بني عبد شمس . . . ، يا بني عبد مناف . . . ، يا بني هاشم . . . ، يا بني عبدالمطلب . . . ، يا بني فهر . . . ، يا بني عدي . . . ، يا عباس بن عبدالمطلب . . . ، يا صفية عمة رسول الله . . . ، يا فاطمة بنت رسول الله . . .**»[(١)].

وفي رواية: «**. . . يا أم الزبير بن العوام عمة رسول الله ﷺ**»[(٢)].

فدل ذلك على أنه لا حرج على الداعية أن يستخدم مثل هذا إذا احتاج إليه[(٣)]، إذا كان مما يجلب قلوب المدعوين، ويدخل السرور عليهم والأنس والراحة، وقد عُلِمَ بالتجارب أن النداء بالكنى المباحة يدخل السرور على المُنَادَى.

الثاني عشر: من أساليب الدعوة: التكرير بالإنذار:

إن أسلوب التكرير وإعادة الإنذار والتوجيه مرة بعد أخرى أسلوب نافع؛ لأن الناس قد ينسون بعد فترة من الزمن، وهذا يبين للدعاة إلى الله تعالى أهمية هذا الأسلوب، فإذا ألقى الداعية كلمة، أو خطبة، أو محاضرة، أو نصيحة على قوم من المدعوين ثم احتاج إلى إعادتها بعد فترة فلا حرج في ذلك؛ لأن المقصود أن يفهم الناس ما يلقى إليهم ويستوعبوه، فإذا لم يحصل هذا كرر ما يلقى إليهم حتى يرسخ في أذهانهم. قال الإمام ابن حجر رحمه الله في شرحه لحديث الباب: «ونداؤه ﷺ للقبائل من قريش قبل عشيرته الأدْنَين؛ ليكرر إنذار عشيرته، ولدخول قريش كلها في أقاربه، ولأن إنذار العشيرة يقع بالطبع وإنذار غيرهم يكون بطريق الأولى»[(٤)].

---

(١) انظر: البخاري مع الفتح ٥/ ٣٨٣، ٦/ ٥٥١، ٨/ ٥٠١، ومسلم ١/ ١٩٢-١٩٣.
(٢) البخاري، كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية ٤/ ١٩٤، برقم ٣٥٢٧.
(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٦/ ٥٥١.
(٤) المرجع السابق ٦/ ٥٥٢، ٨/ ٥٠٢.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذه القصة إن كانت وقعت في صدر الإسلام بمكة فلم يدركها ابن عباس، لأنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ولا أبو هريرة لأنه إنما أسلم بالمدينة، وفي نداء فاطمة يومئذٍ أيضاً ما يقتضي تأخر القصة؛ لأنها كانت حينئذٍ صغيرة أو مراهقة.. والذي يظهر أن ذلك وقع مرتين مرة في صدر الإسلام... ومرة بعد ذلك حيث يمكن أن تدعى فيها فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أو يحضر ذلك أبو هريرة وابن عباس رضي الله عن الجميع». (١)

وهذا يوضح للداعية أنه ينبغي له أن يكرر ما يحتاج إليه الناس بدون ملل ولا كسل. (٢)

الثالث عشر: من أساليب الدعوة: الترهيب

يظهر في هذا الحديث أسلوب الترهيب، وأنه من أساليب الدعوة التي ينبغي للداعية أن يعتني بها؛ لأن الترهيب يكون بما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله. (٣)

فقد دل هذا الحديث على الترهيب من النار في قوله ﷺ بعد نداء كل بطن من بطون قريش: «**أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً**». (٤)

الرابع عشر: من أساليب الدعوة: الترغيب:

دل هذا الحديث على أسلوب الترغيب، وهو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق، والثبات عليه(٥)؛ ولهذا قال ﷺ: «**اشتروا أنفسكم من الله**»، قال الكرماني: «فإن قلت ما معنى الاشتراء وهم البائعون، قال الله

---

(١) فتح الباري لابن حجر، بتصرف يسير ٦/ ٥٥٢، ٨/ ٥٠٢.
(٢) انظر: الحديث رقم ٤، الدرس الخامس.
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الراء مع الهاء، مادة: «رهب» ٢/ ٢٨٠، ولسان العرب، باب الباء، فصل الراء، ١/ ٤٣٦، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، باب الباء، فصل الراء، ص ١١٨.
(٤) هذا لفظ مسلم في صحيحه ١/ ١٩٢، وتقدم تخريجه ص ٧٨.
(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الراء مع الغين، مادة: «رغب» ٢/ ٢٣٦، ولسان العرب لابن منظور، باب الباء، فصل الراء، ١/ ٤٢٢، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، باب الباء، فصل الراء، ص ١١٦.

تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[1]، قلت: العبد مشتر لنفسه باعتبار تخليصها من العذاب، بائع باعتبار تحصيل الثواب». [2]

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «**اشتروا أنفسكم من الله**» أي باعتبار تخليصها من النار، كأنه قال: أسلموا تسلموا من العذاب، فكان ذلك كالشراء، كأنهم جعلوا طاعة الله ثمن النجاة، أما قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ . . .﴾ فهناك المؤمن بائع باعتبار تحصيل الثواب والثمن الجنة، وفيه إشارة إلى أن النفوس كلها ملك لله تعالى، وأن من أطاعه حق طاعته في امتثال أوامره واجتناب نواهيه وفَّىٰ ما عليه من الثمن». [3]

وهذا واضح في دلالة الحديث على أسلوب الترغيب، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يستخدمه في دعوته.

***

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.
(٢) شرح الكرماني على صحيح البخاري، ١٤/ ١٣١.
(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ٥٠٣.

١٥- باب إذا قال أَرضِي أو بُستاني صدقةٌ لله عن أُمِّي فهو جائز، وإن لم يُبيِّنْ لِمَن ذلك

٨-[٢٧٥٦] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ سَلام: أَخْبَرَنَا مَخلَدُ بنُ يَزِيدَ: أَخْبَرَنَا ابنُ جُرَيجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي يَعْلَىٰ: أَنَّهُ سَمِعَ عِكْرِمَةَ يقول: أَنبَأَنَا ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَنَّ سَعْدَ بنَ عُبَادَةَ[١] رضي الله عنه تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ[٢] وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وأَنا غَائِبٌ عَنْهَا، أَيَنفَعُها شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ؛ فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِي المِخْرافَ صَدَقةٌ عَلَيْهَا». [٣]

وفي رواية: «أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رضي الله عنه تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا فَهَلْ يَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ . . . ». [٤]

○ شرح غريب الحديث:

* «**حائطي**» الحائط: الجدار، لأنه يحوط ما فيه. [٥]

* «**المخراف**» هو الحائط من النخل، أو البستان المثمر، والمخراف:

---

(١) سعد بن عبادة بن دُلَيم بن حارثة الأنصاري الخزرجي الساعدي المدني، اتفقوا على أنه كان نقيب بني ساعدة، وكان صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها، وكان سيداً، جواداً، وجيهاً في الأنصار، ذا رياسة، وسيادة، وكان مشهوراً بالكرم، وكان يحمل كل يوم إلى النبي ﷺ جفنة مملوءة ثريداً ولحماً، وله ولأهله في الجود والكرم أشياء كثيرة مشهورة، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالغيرة، فكان شديد الغيرة، شهد سعد: العقبة، وبدراً، وقيل لم يشهد بدراً، وشهد باقي المشاهد. وله أحاديث يسيرة، وهي عشرون بالمكرر؛ لأنه مات قبل أوان الرواية، مات رضي الله عنه بأرض حوران - وهي كورة واسعة جنوب دمشق، وذات قرى ومزارع وحرار - وذلك سنة ست عشرة، وقيل خمس عشرة، وقيل أربع عشرة، يقال إن الجن قتلته، وأنشدوا فيه البيتين المشهورين. رضي الله عنه وأرضاه. انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ٢١٢، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٢٧٠-٢٧٩، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ٢/ ٣٠.

(٢) عمرة بنت مسعود وقيل بنت سعد بن قيس والدة سعد بن عبادة رضي الله عنهما، ماتت في حياة النبي ﷺ سنة خمس، والنبي ﷺ في غزوة دومة الجندل في شهر ربيع الأول، وقيل: فلما جاء النبي ﷺ المدينة أتى قبرها فصلى عليها، وسأل ولدها سعد النبي ﷺ عن الصدقة عنها. انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، ٨/ ٣٣١، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ٤/ ٣٦٦ و ٣٦٧.

(٣) [الحديث ٢٧٥٦]، وطرفاه: في كتاب الوصايا، باب الإشهاد في الوقف والصدقة ٣/ ٢٥٤. برقم ٢٧٦٢، وفي باب إذا وقف أرضاً ولم يبين الحدود فهو جائز وكذلك الصدقة ٣/ ٢٥٨، برقم ٢٧٧٠.

(٤) من الطرف رقم ٢٧٦٢.

(٥) لسان العرب، لابن منظور، باب الطاء، فصل الحاء، ٧/ ٢٧٩.

المثمرة، سماها مخرافاً: لما يخترف منها.[١]

○ الدراسة الدعوية للحديث:

في هذا الحديث دروس وفوائد دعوية، منها:

١- أهمية سؤال المدعو عما أشكل عليه.

٢- مسارعة المدعو إلى عمل الخير.

٣- كرم المدعو.

٤- من أساليب الدعوة: الترغيب.

٥- من وسائل الدعوة: القدوة.

والحديث عن هذه الدروس والفوائد الدعوية على النحو الآتي:

أولاً: أهمية سؤال المدعو عما أشكل عليه:

دل الحديث على أهمية السؤال للعالم عند الجهل، أو عند اشتباه الأمور؛ ولهذا ذكر الإمام عبدالله بن أبي جمرة الأندلسي أن من فوائد هذا الحديث: السؤال للعالم عند الجهل وترك الحكم بالرأي؛ لأن هذا الصحابي رضي الله عنه عندما لم يكن علم هل تنفع صدقته بتلك النية التي أراد أم لا، لم يقدم عليها برأيه، وإنما سأل النبي ﷺ، وحينئذ أقدم على الفعل بعد العلم بالحكم.[٢]

وهكذا ينبغي للمدعو أن يسأل أهل العلم عما أشكل عليه حتى يعبد الله تعالى على بصيرة؛ ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.[٣]

ثانياً: مسارعة المدعو إلى عمل الخير:

دل الحديث على المسارعة إلى أفعال البر إذا عُلِمت، حتى يكون العلم مقروناً بالعمل؛ لأن هذا الصحابي رضي الله عنه عندما علم أن الصدقة تنفع أمه وأنه

---

(١) انظر: أعلام الحديث، للخطابي ٢/ ١٣٤٧، والنهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، حرف الخاء مع الفاء ٢/ ٢٤، ولسان العرب لابن منظور، باب الفاء، فصل الخاء، ٩/ ٦٢، وعمدة القاري للعيني، ١٤/ ٥٢.

(٢) انظر: بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري، ٣/ ٩٥.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٧.

يثاب على ذلك أخرجها من حينه، فأشهد النبي ﷺ عليها.[١]

فينبغي للمدعو أن يسارع إلى الخير، وينتهز الفرص المؤدية إلى ذلك؛ لأمر الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[٢]، وقد مدح الله ﷻ آل زكريا بالمسارعة في الخير فقال ﷻ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[٣].

ثالثاً: كـــرم المـدعـــو:

دل الحديث على كرم المدعو؛ لأن الصحابي الجليل رضي الله عنه ـ عندما تيقن أن الصدقة مقبولة ويلحق ثوابها لأمه ـ أعلن بصدقة عظيمة لا يستطيعها البخلاء من البشر، وأعطى الحائط العظيم صدقة عن أمه، وهذا العمل من الصحابي الجليل لا يستغرب؛ فإنه ممن اشتهر بالجود والكرم في عهد النبي ﷺ، وقد كان رضي الله عنه يحمل كل يوم إلى النبي ﷺ جفنة مملوءة ثريداً ولحماً[٤]؛ ولهذا الكرم العظيم قال: «فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عليها».

فينبغي للمدعو أن يكون كريماً جواداً، وهذا إن كان من صفات الدعاة ومعلمي الناس الخير؛ فإنه لا يمنع أن يكون المدعو كريماً جواداً.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب:

دل الحديث على الترغيب في الصدقة عن الميت، وأنها تصل إليه وتنفعه، ولاسيما إن كـان من الوالدين؛ لأن حقهما أعظم وبرهما أوجب؛ ولهذا بين النبي ﷺ أنواعـاً من أنـواع البر التي ينبغي لكل مسلم أن يبر بها والديـه بعد موتهما؛ فقد جاء أن رجـلاً قال له: يا رسول الله: هل بقي من بر أبويَّ شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقيل إنه: قال: «**نعم.. الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما**

(١) انظر: بهجة النفوس لابن أبي جمرة، ٣/ ٩٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.
(٤) انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ١/ ٢١٢-٢١٣، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ١/ ٢٧٠-٢٧٩.

من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما». (١)

فينبغي للداعية أن يستخدم هذا الأسلوب؛ لأن له تأثيراً في النفوس، ودفعاً وترغيباً لها على الخير؛ قال الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيه أن ثواب الصدقة عن الميت تصل إلى الميت وتنفعه، وهو مخصص لعموم قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾». (٢)

خامساً: من وسائل الدعوة: القدوة:

يظهر من كلام الصحابي الجليل وإظهاره للصدقة علانية أمام الناس أن القدوة وسيلة نافعة في الدعوة إلى الله تعالى؛ ولعظم القدوة انتفع خلق كثير بفعل سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأن الفعل إذا قارن القول نفع الله به؛ ولهذا قال الإمام عبدالله بن أبي جمرة رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه دليل على أن إظهار الصدقة في مثل هذا الموضع أفضل من إخفائها؛ لأن هذا الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أظهر صدقته هنا ولم يخفها، والحكمة في ذلك: اغتنام صدق النية؛ لأنه حصل له صدق النية عند الإخبار فاغتنمها بالعمل»(٣).

وعلى هذا الأسلوب كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مهما زاد أحدهم في علمه ظهر في عمله، حتى إنهم كانوا يعرفون زيادة علم الإنسان في عمله، وكذا التابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين؛ لأن العلم مع ترك العمل حجة ووبال على صاحبه؛ لأن الإنسان إذا اغتنم صدق نيته بالعمل حين حصول العلم بتَّ الأمر، وأمن غائلة النفس ومكر الشيطان. (٤)

وهذا يبين عظم العمل بالعلم، وأنه ينبغي للداعية أن يكون قدوة حسنة لغيره؛ لأن الناس في الغالب ينتفعون بالعمل أكثر من القول. (٥)

---

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب في بر الوالدين ٤/ ٣٣٦ برقم ٥١٤٢، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب صل من كان أبوك يصل ٢/ ١٢٠٨ برقم ٣٦٦٤، وابن حبان في صحيحه، ٢/ ١٦٢، برقم ٤١٨، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٤/ ١٥٤، وأحمد في المسند، ٣/ ٤٩٧ و ٤٩٨، والبخاري في الأدب المفرد، ص ٢٧، برقم ٣٥، والطبراني في المعجم الكبير، ١٩/ ٢٦٧، برقم ٥٩٢، والبيهقي في السنن الكبرى، ٤/ ٢٨، وقال عبدالقادر الأرنؤوط في تحقيق جامع الأصول: «في سنده علي بن عبيد الساعدي الراوي عن أبي أسيد لم يوثقه غير ابن حبان، وباقي السند رجاله ثقات»، ١/ ٤٠٧، وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني، ٢/ ٦٢، برقم ٥٩٧.

(٢) شرح الكرماني على صحيح البخاري، ١٢/ ٧٤، وعمدة القاري ١٤/ ٥٦، والآية من سورة النجم، الآية: ٣٩، وانظر الحديث رقم ٧، الدرس الرابع عشر.

(٣) بهجة النفوس ٣/ ٩٥، ٩٦ بتصرف يسير.

(٤) انظر: المرجع السابق ٣/ ٩٥، ٩٦.

(٥) انظر: الحديث رقم ٣، الدرس الثالث.

١٦- بَابُ إِذَا تَصَدَّقَ أَوْ وَقَفَ بَعْضَ مَالِهِ أَوْ بَعْضَ رَقِيقِهِ أَوْ دَوَابِّهِ فَهُوَ جَائِزٌ

٩-[٢٧٥٧]- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ عَبْدَاللهِ بْنَ كَعْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ(١) رضي الله عنه يقول: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ.(٢)

---

(١) كعب بن مالك بن عمرو بن القين، الأنصاريّ، الخزرجي، العَقَبيُّ الأُحدي، شاعر رسول الله ﷺ، وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خلّفوا فتاب الله عليهم، شهد العقبة، وأُحداً، وسائر المشاهد إلا بدراً وتبوك، وقد أسلمت دوس بفضل الله تعالى ثم خوفاً من بيت قاله كعب:

قضينا من تهامة كل ريب ... وخيبر ثم أجمعنا السيوفا
نخيّرها ولو نطقت لقالت ... قواطعهن دوساً أو ثقيفا

له عن رسول الله ﷺ ثمانون حديثاً، وقيل ثلاثون، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة منها، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين، جرح كعب يوم أحد أحَدَ عشر جرحاً في سبيل الله، توفي بالمدينة رضي الله عنه في زمن معاوية رضي الله عنه سنة ثلاث وخمسين، وقيل خمسين رضي الله عنه.
انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/ ٦٩، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢/ ٥٢٣-٥٣٠، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ٣/ ٣٠٢.

(٢) الحديث [٢٧٥٧] أطرافه في كتاب الجهاد والسير، باب من أراد غزوة فورّى بغيرها ومن أحب الخروج يوم الخميس، ٤/ ٧ برقم ٢٩٤٧، ٢٩٤٨، ٢٩٤٩، ٢٩٥٠، وباب الصلاة إذا قدم من السفر، ٤/ ٥٠ برقم ٣٠٨٨، وكتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ٤/ ٢٠٠ برقم ٣٥٥٦، وكتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة، ٤/ ٣٠٢ برقم ٣٨٨٩، وكتاب المغازي، باب قصة غزوة بدر، ٥/ ٥ برقم ٣٩٥١، وباب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ ٥/ ١٥١ برقم ٤٤١٨، وكتاب التفسير، سورة براءة، باب قوله: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ ٥/ ٢٤٧ برقم ٤٦٧٣، وباب قوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُم بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ٥/ ٢٤٨ برقم ٤٦٧٦، وباب ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ٥/ ٢٤٩ برقم ٤٦٧٧، وباب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ٥/ ٢٥٠ برقم ٤٦٧٨، وكتاب الاستئذان، باب من لم يسلم على من اقترف ذنباً ومن لم يُرد سلامهُ حتى تتبين توبته وإلى متى تتبين توبة العاصي؟ وقال عبدالله بن عمرو: لا تسلموا على شربة الخمر ٧/ ١٧٢ برقم ٦٢٥٥، وكتاب الأيمان والنذور، باب إذا أهدى ماله على وجه النذر والتوبة، ٧/ ٢٩٣ برقم ٦٦٩٠، وكتاب الأحكام، باب هل للإمام أن يمنع المجرمين وأهل المعصية من الكلام معه والزيارة ونحوه ٨/ ١٦٢ برقم ٧٢٢٥.
وأخرجه مسلم، في كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ٤/ ٢١٢٠ برقم ٢٧٦٩.

وفي رواية : قَالَ : سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ قَالَ كَعْبٌ : لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا . إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ . وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا . كَانَ مِنْ خَبَرِي أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ . وَاللهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ غَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَراً بَعِيداً وَمَفَازاً وَعَدُوّاً كَثِيراً . فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَثِيرٌ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ ـ يُرِيدُ الدِّيوَانَ ـ قَالَ كَعْبٌ : فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللهِ، وَغَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ . وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً فَأَقُولُ فِي نَفْسِي : أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئاً فَقُلْتُ : أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ؟ ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً ثُمَّ غَدَوْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً . فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَطُفْتُ فِيهِمْ أَحْزَنَنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلاً مَغْمُوصاً عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أَوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ

الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ : «**مَا فَعَلَ كَعبٌ؟**» . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ : يَارَسُولَ اللهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفَيْهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ يَارَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلّا خَيْراً، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ : فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلاً حَضَرَنِي هَمِّي، فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ : بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَداً، وَأَسْتَعِنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِماً زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَداً بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَادِماً، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فيركعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ . فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلاَنِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ : «**تَعَالَ**» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لِي : «**مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟**» فَقُلْتُ : بَلَى، إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللهِ، لَا وَاللهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ**» فَقُمْتُ وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي : وَاللهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْباً قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللهِ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُتَخَلِّفُونَ قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكَ، فَوَاللهِ مَازَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي،

ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعي أحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلاَنِ قَالاَ مِثْلَ مَا قُلْتَ فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ، وَهِلاَلُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْراً فِيهِمَا أُسْوَةٌ فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، وَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ، ولَا يُكَلِّمُنِي أحَدٌ وَآتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلاَمِ عَلَيَّ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيباً مِنْهُ فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاَتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ ـ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ـ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَاباً مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضاً مِنَ الْبَلاَءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْتِينِي فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ،

فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا، بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلَا تَقْرَبْهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الأَمْرِ، قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبْكِ» قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللهِ مَازَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا، فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، حَتَّى كَمُلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِداً وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ وَآذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَساً وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجاً فَوْجاً يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلَا أُنْسَاهَا

لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**» قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟ قَالَ: «**لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ**» وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ، وَإِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**» قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لاَ أُحَدِّثَ إِلاَّ صِدْقاً مَا بَقِيتُ، فَوَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَداً مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلاَهُ اللهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلاَنِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِباً وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، فَوَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلإِسْلاَمِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ لاَ أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦] قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللهُ فِيهِ فَبِذَلِكَ قَالَ اللهُ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨]، وَلَيْسَ الَّذِي

ذَكَرَ اللهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الْغَزْوِ وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ. (١)

وفي رواية: أن النبي ﷺ خَرَجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ. (٢)

وفي رواية: عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ وَهُوَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ تِيبَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ غَيْرَ غَزْوَتَيْنِ غَزْوَةِ الْعُسْرَةِ وَغَزْوَةِ بَدْرٍ قَالَ: فَأَجْمَعْتُ صِدْقَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضُحىً وَكَانَ قَلَّمَا يَقْدَمُ مِنْ سَفَرٍ سَافَرَهُ إِلَّا ضُحىً، وَكَانَ يَبْدَأُ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ وَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ كَلامِي وَكَلامِ صَاحِبَيَّ، وَلَمْ يَنْهَ عَنْ كَلامِ أَحَدٍ مِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ غَيْرِنَا، فَاجْتَنَبَ النَّاسُ كَلامَنَا، فَلَبِثْتُ كَذَلِكَ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ الأَمْرُ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فَلا يُصَلِّي عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ يَمُوتَ رَسُولُ اللهِ فَأَكُونَ مِنَ النَّاسِ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ فَلا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلا يُصَلِّي عَلَيَّ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَوْبَتَنَا عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ حِينَ بَقِيَ الثُّلُثُ الآخِرُ مِنَ اللَّيْلِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مُحْسِنَةً فِي شَأْنِي مَعْنِيَّةً فِي أَمْرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ تِيبَ عَلَى كَعْبٍ قَالَتْ: أَفَلا أُرْسِلُ إِلَيْهِ فَأُبَشِّرُهُ قَالَ إِذًا يَحْطِمَكُمُ النَّاسُ فَيَمْنَعُونَكُمُ النَّوْمَ سَائِرَ اللَّيْلَةِ، حَتَّى إِذَا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاةَ الْفَجْرِ آذَنَ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا». (٣)

وفي رواية: «أن عبدالله بن كعب قَالَ سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ بِطُولِهِ قَالَ ابْنُ بُكَيْرٍ فِي حَدِيثِهِ: وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلامِ وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ

(١) الطرف رقم ٤٤١٨.
(٢) من الطرف رقم ٢٩٥٠.
(٣) من الطرف رقم ٤٦٧٧.

بَدْرٍ وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا». (١)

○ شرح غريب الحديث:

* «**عير قريش**»: الإبل التي تحمل الميْرة ـ أي تحمل الطعام والشراب ـ وقيل: هي القافلة. (٢)

* «**ليلة العقبة**»: وهي التي بايع فيها رسول الله ﷺ الأنصار على الإسلام والإيواء والنصرة، وذلك قبل الهجرة، والعقبة: هي التي في طريق منى التي تضاف إليها جمرة العقبة، وكانت بيعة العقبة مرتين، كانوا في السنة الأولى اثني عشر، وفي الثانية سبعين، كلهم من الأنصار. (٣)

* «**تواثقنا**»: أخذ بعضنا على بعض الميثاق، وتعاهدنا، وتعاقدنا، لَمَّا تبايعنا على الإسلام والجهاد. (٤)

* «**وما أحب أن لي بها مشهد بدر**»؛ لأن من شهد بدراً وإن كان فاضلاً بسبب أنها أول غزوة نُصِرَ فيها الإسلام، لكن بيعة العقبة كانت سبباً في فشوِّ الإسلام، ومنها نشأ مشهد بدر، وكان كعب من أهل العقبة الثانية وقد عقد ثالثة كما ذكر ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ. (٥)

* «**وإن كانت بدر أذكر في الناس**»: أي أعظم وأكثر ذكراً في الناس من بيعة العقبة. (٦)

* «**ومفازاً**»: أي بَرِّيَّة طويلة قليلة الماء يخاف فيها الهلاك. (٧)

---

(١) من الطرف رقم ٣٨٨٩.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، باب الراء، فصل العين ٤/ ٦٢٤، وانظر: عمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٢.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور، باب الباء، فصل العين، ١/ ٦٢١، وشرح الكرماني على صحيح البخاري، ١٦/ ٢٢٩، وعمدة القاري، للعيني، ١٨/ ٥٢.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الواومع الثاء، مادة: «وثق» ٥/ ١٥١، و فتح الباري لابن حجر، ٨/ ١١٧، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٢.

(٥) انظر: لسان العرب لابن منظور، باب الدال، فصل الشين، ٣/ ٢٤١، و فتح الباري لابن حجر، ٧/ ٢٢١، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٢.

(٦) انظر: لسان العرب، لابن منظور، باب الراء، فصل الذال، ٤/ ٣١١، و فتح الباري لابن حجر، ٨/ ١١٧، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٢.

(٧) انظر: غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص ١٠٩، و شرح النووي على صحيح مسلم ١٧/ ٩٤.

* «**فَجَلَّى**»: بفتح وتشديد اللام ويجوز تخفيف اللام: أي كشف وبيَّن وَأَوْضَح.(١)

* «**إلا ورَّى بغيرها**»: معنى «ورّى» ستر، وتستعمل في إظهار شيء مع إرادة غيره، أي أوهم أنه يريد غيرها.(٢)

* «**أُهبة غزوهم**»: الأهبة تجهيز ما يحتاج إليه في السفر والحرب والاستعداد لذلك(٣).

* «**فطفقت**»: من أفعال المقاربة ومعناه: أخذت في الفعل.(٤)

* «**حتى اشتدَّ بالناس الجد**»: أي اشتد بالناس اشتداد الجد، والاجتهاد في أمر السفر.(٥)

* «**جَهازي**»: وهو الأهبة وعدة السفر.(٦)

* «**تفارط الغزو**» أي فات وسبق، وأسرع.(٧)

* «**مغموصاً عليه النفاق**»: مطعوناً عليه في دينه متهماً بالنفاق، وقيل: مستحقراً.(٨)

* «**رجل من بني سلمة**»: هو عبدالله بن أنيس رضي الله عنه.(٩)

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الجيم مع اللام، مادة: «جلا» ١/ ٢٩٠، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٩٤، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٢.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، مادة: «ورا» ٥/ ١٧٧، وأعلام الحديث للخطابي، ٢/ ١٤١١، وشرح الكرماني على صحيح البخاري، ١٢/ ١٩٢، و فتح الباري لابن حجر، ٦/ ١١٣، ٨/ ١١٧، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٢.

(٣) انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي، باب الهمزة، فصل الباء، ص ٧٧، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٩٥، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١١٧، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٢.

(٤) انظر: غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص ٤١، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٢.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الجيم مع الدال، مادة: «جدد» ١/ ٢٤٤، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١١٨، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٢.

(٦) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص١٣٢، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٢.

(٧) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص١٠٩، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١١٨، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٢.

(٨) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص١١٠، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١١٨، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٢.

(٩) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٩٤، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١١٨، والإصابة في تمييز=

* «**حبسه بُرداه**»: البُرْد والبُردة: نوع من الثياب معروف، والجمع أبراد وبُرُود، والبُردةُ الشملة المخططة، وقيل كساء أسود مربع فيه صورٌ تلبسه الأعراب، وجمعها بُرَدٌ.(١)

* «**والنظر في عِطفيه**»: أي جانبيه، وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه، ولباسه، وقيل: كني بذلك عن حسنه وبهجته، والعرب تصف الرداء بصفة الحسن وتسميه عِطفاً، لوقوعه على عِطفي الرجل.(٢)

* «**قافلاً**»: راجعاً.(٣)

* «**قد أظل قادماً**»: قد دنا قدومه وأقبل.(٤)

* «**أجمعت صدقه**»: عزمت عليه، وجزمت بذلك، وعقدت عليه قصدي.(٥)

* «**وكانوا بِضعة وثمانين رجلاً**»: البضعة في العدد ما بين الثلاثة إلى التسعة، وقيل: ما بين الواحد إلى العشرة.(٦)

* «**ابتعت ظهرك**»: اشتريت راحلتك.(٧)

* «**أُعطيتُ جَدَلًا**»: فصاحة وقوة في كلام وبراعة، بحيث أخرج عن عهدة ما ينسب إليّ إذا أردت، بما يقبل ولا يُرد.(٨)

= الصحابة، لابن حجر، ٢/ ٢٧٨.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف الباء مع الراء، مادة: «برد» ١/ ١١٦.

(٢) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص١١٠، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٩٤، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١١٨، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٢.

(٣) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص١١٠، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٩٦.

(٤) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص١١٠، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٩٦، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٢.

(٥) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص١١٠، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٩٦، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١١٩، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٢.

(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الباء مع الضاد، مادة: «بضع» ١/ ١٣٣، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٣.

(٧) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الظاء مع الهاء، مادة: «ظهر» ٣/ ١٦٦، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٣.

(٨) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الجيم مع الدال، مادة: «جدل» ١/ ٢٤٨، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٩٧، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١١٩، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٣.

* «**ليوشِكنّ اللهُ**»: ليسر عنّ: أي ليعجلنّ الله.[١]

* «**تجِد عليّ فيه**»: تغضب علي فيه.[٢]

* «**ثار رجال**»: وثبوا.[٣]

* «**يؤنبونني**»: يلومونني أشد اللوم وأعنفه.[٤]

* «**استكانا**»: خضعا.[٥]

* «**أشب القوم وأجلدهم**»: أصغرهم سناً وأقواهم.[٦]

* «**فأسارقه النظر**»: أنظر إليه في خفية.[٧]

* «**تسورت حائط أبي قتادة**»: علوت سور بستانه وصعدته.[٨]

* «**جفوة الناس**»: إعراضهم.[٩]

* «**حائط أبي قتادة وهو ابن عمي**»: ذكر أنه ابن عمه لكونهما معاً من بني سلمة وليس هو ابن عمه أخي أبيه.[١٠]

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الواو مع الشين، مادة: «وشك» ٥/ ١٨٩، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٩٧، وعمدة القاري للعيني ١٨/ ٥٣.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الواو مع الجيم، مادة: «وجد» ٥/ ١٥٥، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٩٧، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١١٩، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٣.

(٣) انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي، باب الراء، فصل الثاء، ص ٤٥٩، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٩٧، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١١٩، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٣.

(٤) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص ١١٠، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٩٧، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١١٩، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٣.

(٥) انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي، باب النون، فصل الكاف، ص ١٥٨٥، و شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٩٨.

(٦) انظر: المقاييس في اللغة لابن فارس، كتاب الشين، مادة: «شبب»، ص ٥٢٢، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٩٨.

(٧) انظر: القاموس المحيط، للفيروز ابادي، باب القاف، فصل السين، ص ١١٥٤، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١٢٠.

(٨) انظر: غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص ١١٠، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٩٨.

(٩) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الجيم مع الفاء، مادة: «جفا» ١/ ٢٨١، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١٢٠.

(١٠) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ٤/ ١٥٨، و فتح الباري لابن حجر، ٨/ ١٢٠.

* «**أنشدك بالله**»: أسألك بالله.[١]

* «**نبطي من أنباط الشام**»: نسبة إلى استنباط الماء واستخراجه، وهؤلاء كانوا في ذلك الوقت أهل الفلاحة، وقيل: النبط والأنباط، فلاحو العجم.[٢]

* «**ملك غسان**»: قيل: جَبَلَة بن الأَيْهَمَ، وقيل: الحارث ابن أبي بشر، وقيل: جندب بن الأيهم.[٣]

* «**لم يجعلك الله بدار هوان**»: دار ذل وصغار.[٤]

* «**نُواسِك**»: نشاركك فيما عندنا.[٥]

* «**يممت بها التنور**»: قصدت بها، والتنور هو ما يخبز فيه.[٦]

* «**فسجرت**»: أوقدت.[٧]

* «**سلع**»: جبل معروف بالمدينة.[٨]

* «**فأوفى**»: أشرف وأطلع.[٩]

* «**إذا رسول رسول الله ﷺ يأتي**»: هو خزيمة بن ثابت».[١٠]

* «**آذن**»: أعلم.[١١]

---

(١) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص ٤٣، وشرح الكرماني على صحيح البخاري، ١٦/ ٢٢٤.
(٢) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص٤٦١، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٩٩، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١٢١.
(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٥٣٢، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١٢١، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٣.
(٤) انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي، باب النون، فصل الهاء، ص ١٦٠٠، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١٢١، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٣.
(٥) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص ١١١، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٩٩.
(٦) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص ١١١، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١٢١.
(٧) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب السين مع الجيم، مادة: «سجر» ٢/ ٣٤٣.
(٨) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص ١١١، وعمدة القاري للعيني، ١٨/ ٥٤.
(٩) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الواو مع الفاء، مادة: «وفا» ٥/ ٢١١، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١٢١.
(١٠) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ١/ ٤٢٥.
(١١) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص ٦٥، وفتح الباري لابن حجر ٨/ ١٢١.

* «**استنار وجهه كأنه قطعة قمر**»: أي الموضع الذي يبين فيه السرور، وهو جبينه. وهذا تشبيه بما في القمر من الضياء والاستنارة.[١]

* «**يحطمكم الناس**»: أي يجتمعون عليكم ويتكالبون، فيشغلونكم عن التصرف، فجعل ذلك كالحطم: وهو الكسر، والعنت والمشقة.[٢]

* «**سعى ساعٍ من أسلم**»: هو حمزة بن عمرو، ونزع له كعب ثوبيه.[٣]

* «**والله ما أملك غيرهما**»: يريد جنس الثياب، وإلا فقد كان عنده راحلتان.[٤]

* «**فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله**»: أي أنعم عليه.[٥]

* «**أرْجَأَ**»: أخَّر.[٦]

* «**وعلى الثلاثة الذي خلِّفوا**»: أي أُخِّرت توبتهم، وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع العمري: نسبة إلى بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وهلال ابن أمية الواقفي، نسبة إلى بني واقف بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس.[٧]

* «**أنخلع من مالي**»: أخرج منه وأتصدق.[٨]

○ الدراسة الدعوية للحديث:

في هذا الحديث دروس وفوائد دعوية منها:

١- من صفات الداعية: التحدث بنعم الله تعالى.

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، باب الراء، فصل النون، ٥/ ٢٤٠ وفتح الباري لابن حجر، ٦/ ٥٧٤، و٨/ ١٢٢.

(٢) تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص ١١١.

(٣) انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ١/ ١٦٩، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١٢٢..

(٤) فتح الباري لابن حجر، ٨/ ١٢٢.

(٥) انظر: غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص ٣٥٨، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الباء مع اللام، مادة: «بلا» ١/ ١٥٥.

(٦) انظر: غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص ١١١.

(٧) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ٣/ ٣٩٦، ٣/ ٦٠٦، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١٢٣.

(٨) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، باب الخاء مع اللام، مادة: «خلع» ٢/ ٦٥، وشرح الكرماني على صحيح البخاري ١٦/ ٢٢٧.

٢- من صفات الداعية: قوة الإيمان ومحبة الله ورسوله ﷺ.
٣- من صفات الداعية: الرحمة والشفقة على المؤمنين والفرح بما يسرهم.
٤- أهمية الصدق وأثره في حياة الداعية.
٥- أهمية اغتنام فرص الخير قبل حرمانها.
٦- أهمية الأخذ بالظاهر وقبول أعذار المدعوين.
٧- من صفات الداعية: الحرص على حسن الخاتمة.
٨- أهمية الصبر على مشاق الدعوة والابتلاء.
٩- من أساليب الدعوة: التهنئة والتبشير للمدعو والسرور بما يسره.
١٠- إيثار طاعة الرسول ﷺ على محبة القريب.
١١- عناية الداعية بالمتخلفين عن الطاعة.
١٢- تأديب المدعو بالهجر إذا اقتضت المصلحة ذلك.
١٣- من وسائل الدعوة: القدوة الحسنة.
١٤- من موضوعات الدعوة: التحذير من المعاصي وبيان عظم أمرها.
١٥- أهمية المداومة على الخير.
١٦- من أساليب الدعوة: إخبار الداعية عن تفريطه وتقصيره تحذيراً لغيره إذا ظهرت المصلحة.
١٧- أهمية إنكار الغيبة وردها.
١٨- أهمية قول الداعية لما لا يعلمه: الله أعلم.
١٩- معاتبة الداعية أصحابه على التقصير.

والحديث عن هذه الدروس والفوائد الدعوية على النحو الآتي:

أولاً: من صفات الداعية: التحدث بنعم الله تعالى:

إن من صفات الداعية إلى الله تعالى: التحدث بنعم الله ﷻ؛ ولهذا قال كعب رضي الله عنه في هذا الحديث: «ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها».

وسمعت العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز حفظه الله تعالى يقول: «والمقصود

أنه رضي الله عنه يذكر ما منّ الله به عليه من حضور العقبة وهي من مشاهد الخير».[١]

ولا شك أن التحدث بنعم الله تعالى من أركان الشكر التي تدوم بها النعم بإذن الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٣].

فينبغي للداعية إلى الله أن يتحدث بنعم الله تعالى، ويشكره بلسان الحال والمقال.

ثانياً: من صفات الداعية: قوة الإيمان ومحبة الله ورسوله ﷺ:

إن الداعية الصادق هو: قويُّ الإيمان صادق النية، خالص المحبةلله ورسوله ﷺ؛ ولهذا يثبت على إيمانه ولا تزعزعه العواصف وأهل الكفر والضلال.

وفي هذا الحديث أن ملك غسان أرسل إلى كعب رضي الله عنه كتاباً يقول فيه: «... أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك...» فما كان من كعب رضي الله عنه إلا أن قال: «... وهذا أيضاً من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها...».

قال ابن حجر رحمه الله: «ودل صنيع كعب هذا على قوة إيمانه ومحبته لله ورسوله، وإلا فمن صار في مثل حاله: من الهجر والإعراض قد يضعف على احتمال ذلك، وتحمله الرغبة في الجاه والمال على هجران من هجره ولاسيما مع أمنه من الملك الذي استدعاه إليه أنه لا يكرهه على فراق دينه، لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمَنُ من الافتتان حسم المادة، وأحرق الكتاب، ومنع الجواب، هذا مع كونه من الشعراء الذين طبعت نفوسهم على الرغبة، ولاسيما بعد الاستدعاء والحث على الوصول إلى المقصود من الجاه والمال، ولاسيما والذي استدعاه قريبه ونسيبه، ومع ذلك غلب عليه دينه، وقوي عنده يقينه، ورجَّح ما هو فيه من النكد والتعذيب على ما دُعيَ إليه من الراحة والنعيم حباً في الله ورسوله ﷺ»[٤]. قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ

(١) سمعت ذلك من شيخنا أثناء شرحه لحديث رقم ٣٨٨٩ من صحيح الإمام البخاري، بجامع الإمام تركي ابن عبدالله بالرياض عام ١٤١٥هـ أو ١٤١٦هـ.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
(٣) سورة الضحى، الآية: ١١.
(٤) فتح الباري ٨/ ١٢١.

ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ الآية[١]، وقال النبي ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار**».[٢]

وهذا يبين للداعية عظم قوة الإيمان وأن هذه القوة سلاح لا يقاومه شيء بإذن الله تعالى.

ثالثاً: من صفات الداعية: الرحمة والشفقة على المؤمنين والفرح بما يسرهم:

إن الداعية الصادق مع الله ﷻ هو الذي يرحم المدعوين ويشفق عليهم ويفرح بما يسرهم؛ ولهذا قال الإمام ابن حجر رحمه الله: «وفيه ما كان النبي ﷺ عليه من كمال الشفقة على أمته والرأفة بهم، والفرح بما يسرهم»[٣].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وفي سرور رسول الله ﷺ بذلك وفرحه به، واستنارة وجهه دليل على ما جعل الله فيه من كمال الشفقة على الأمة، والرحمة بهم، والرأفة، حتى لعل فرحه كان أعظم من فرح كعب وصاحِبَيْه».[٤]

وهذا يبين للدعاة إلى الله تعالى أهمية الرحمة والشفقة على المدعوين، والفرح بما يسرهم؛ لفعله ﷺ.

رابعاً: أهمية الصدق وأثره في حياة الداعية:

الصدق من أهم الصفات الحميدة التي يلزم الداعية أن يتخلق بها؛ ولهذا قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٥].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في فوائد قصة كعب: «ومنها عظم مقدار الصدق،

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

(٢) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه: أخرجه البخاري، في كتاب الإيمان، باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان ١/ ١٣ برقم ٢١، ومسلم، في كتاب الإيمان، باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ١/ ٦٦ برقم ٤٣.

(٣) فتح الباري ٨/ ١٢٣.

(٤) زاد المعاد ٣/ ٥٨٥.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

وتعليق سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما به، فما أنجى الله من أنجاه إلا بالصدق، ولا أهلك من أهلكه إلا بالكذب، وقد أمر الله عباده المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين.. وقد قسم سبحانه الخلق إلى قسمين: سعداء وأشقياء، فجعل السعداء هم أهل الصدق والتصديق، والأشقياء هم أهل الكذب والتكذيب». (١)

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيها فائدة الصدق وشؤم عاقبة الكذب». (٢).

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يتقي الله تعالى، وأن يكون صادقاً في أقواله وأفعاله، وسائر تصرفاته وأحواله، وهذا من أعظم النعم على العبد، ولهذا قال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فوالله ما أنعم الله عليَّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم من صدقي لرسول الله ﷺ». (٣)

خامساً: أهمية اغتنام فرص الخير قبل حرمانها:

من الأمور المهمة العظيمة اغتنام فرص الخير في الطاعة قبل أن يحرمها الداعية؛ فإنه بسبب تسويف كعب وتأخره عن الخروج مع رسول الله ﷺ من أول يوم حصل له ما حصل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في فوائد قصة كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ومنها: أن الرجل إذا حضرت له فرصة القُربة والطاعة، فالحزم كل الحزم في انتهازها، والمبادرة إليها، والعجز في تأخيرها، والتسويف بها، ولاسيما إذا لم يثق بقدرته وتمكنه من أسباب تحصيلها؛ فإن العزائم والهمم سريعة الانتقاض قلما تثبت، والله سبحانه يُعاقب من فتح له باباً من الخير فلم ينتهزه، بأن يحول بين قلبه وإرادته، فلا يمكنه بعد من إرادته عقوبة له، فمن لم يستجب لله ورسوله إذا دعاه، حال بينه وبين قلبه وإرادته، فلا يمكنه الاستجابة بعد ذلك». (٤)

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٥٩٠.
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٨/ ١٢٤.
(٣) انظر: المرجع السابق، ٨/ ١٢٣.
(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/ ٥٧٤.

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾[١]، وقد صرح الله سبحانه بهذا في قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٢]، وقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٣]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[٤]، وهذا في كتاب الله تعالى كثير. وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفيه أن المرء إذا لاحت له فرصة في الطاعة فحقه أن يبادر إليها ولا يسوف بها لئلا يحرمها».[٥]

فعلى الداعية أن يبادر إلى كل طاعة لاحت له فرصتها ولا يسوف لئلا يحرمها، كما ينبغي له أن يسأل الله أن يلهمه المبادرة إلى طاعته، وأن لا يسلبه ما خوله من النعم.

سادساً: أهمية الأخذ بالظاهر وقبول أعذار المدعوين:

الداعية إلى الله تعالى ليس له إلا الظاهر من أحوال المدعوين؛ لقوله ﷺ: «**إني لم أُومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم**»[٦]، فعلى الداعية أن يأخذ بظاهر أحوال المدعوين ويقبل أعذارهم ويعفو عنهم؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[٧].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في ذكر فوائد قصة كعب رضي الله عنه: «ومنها: أن رسول الله ﷺ كان يقبل علانية من أظهر الإسلام من المنافقين، ويكل سريرته إلى الله، ويجري عليه حكم الظاهر، ولا يعاقبه بما يعلم من سره»[٨]، وقال ابن حجر

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٠.
(٣) سورة الصف، الآية: ٥.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٥.
(٥) فتح الباري ٨/ ١٢٤.
(٦) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد ـ رضي الله عنهما ـ إلى اليمن ٥/ ١٣٠ برقم ٤٣٥١، ومسلم، في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٢/ ٧٤١ برقم ١٠٦٤.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٨) زاد المعاد ٣/ ٥٧٥، وانظر: فتح الباري لابن حجر، ٨/ ١٢٤.

رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنها: إجراء الأحكام على الظاهر ووكول السرائر إلى الله تعالى»[١]، وقد تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك بضعة وثمانون رجلاً وجاءوا يعتذرون إليه، فصدق منهم ثلاثة ـ وهم الثلاثة الذين تاب الله عليهم ـ وكذب سائرهم وحلفوا ما حبسهم إلا العذر فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى.[٢]

سابعاً: من صفات الداعية: الحرص على حسن الخاتمة:

إن من الأمور المهمة أن يحرص الداعية على حسن الخاتمة؛ ولهذا قال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذا الحديث: «فلبثت كذلك حتى طال عليَّ الأمر وما من شيءٍ أهمُّ إليَّ من أن أموت فلا يصلِّي عليَّ النبيُّ ﷺ، أو يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني أحد منهم، ولا يصلي عليَّ».

فعلى الداعية أن يحرص على حسن الخاتمة ويسأل الله ذلك؛ فإنه من أهم المهمات. والله المستعان.[٣]

ثامناً: أهمية الصبر على مشاق الدعوة والابتلاء:

دل حديث كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أنه لابد للداعية من الصبر على مشاق الدعوة، وأن ذلك اختبار من الله تعالى هل يصبر العباد أو لا يصبرون؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَٰذِبِينَ﴾[٥].

وقد بين كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الفتنة والابتلاء في هذا الحديث بقوله: «ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة[٦]،

---

(١) فتح الباري ٨/ ١٢٤.
(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٨/ ١١٧.
(٣) انظر: الحديث رقم ٧٣، الدرس الثامن.
(٤) سورة محمد، الآية: ٣١.
(٥) سورة العنكبوت، الآيات: ١-٣.
(٦) غزوة تبوك.

غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل رسول الله ﷺ سفراً بعيداً، ومفازاً، وعدوّاً كثيراً، فجلّى رسول الله ﷺ للمسلمين أمرهم؛ ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ ـ يعني ديوان ـ فما رجل يريد أن يتغيَّب إلا ظن أن سيخفى له، ما لم ينزل فيه وَحْي الله وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال.».

وهذا كله فيه اختبار وامتحان، فعلى الداعية أن يصبر على السراء والضراء ومشقة الدعوة؛ ولهذا قال كعب عندما قرأ كتاب ملك غسان يدعوه فيه إلى أن يلحق به، قال رضي الله عنه: «فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها» وقد بين الله ذلك في كتابه العزيز: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[1].

تاسعاً: من أساليب الدعوة: التهنئة والتبشير للمدعو والسرور بما يسره:

من أساليب الدعوة التي تؤثر في حياة المدعو: التهنئة له وتبشيره بما يسره، والسرور بما يتجدد له من النعم أو يندفع عنه من النقم؛ فإن ذلك يُطيِّب نفسه ويشرح له صدره، وفي هذا الحديث قال كعب رضي الله عنه: «... وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنُّوني بالتوبة يقولون: لِتهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليَّ طلحة بن عبيدالله يهرول حتى صافحني وهنّأني، والله ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة، فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: «**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**»، وقال كعب: وذهب الناس يبشروننا، وذهب قِبَل صاحبيَّ مبشرون وركض إلي رجل وسعى ساعٍ من أسلم فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما».

وهذا يبين مدى تأثير البُشْرَى والتهنئة على المدعو وحبه لمن بشره وهنَّأه،

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

وسُرَّ بما هو فيه من الخير؛ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه دليل على استحباب تهنئة من تجدد له نعمة دينية، والقيام إليه، ومصافحته، فهذه سنة مستحبة، وهو جائز لمن تجدد له نعمة دنيوية، وأن الأولى أن يقال له: ليهنك ما أعطاك الله، وما منَّ الله به عليك، ونحو هذا الكلام؛ فإن فيه تولية النعمة ربَّها والدعاء لمن نالها بالتهنِّي بها».(١)

ولهذا قال النبي ﷺ لأبي بن كعب: «**ليهنك العلم أبا المنذر**»(٢)، وذلك عندما سأله عن أعظم آية في القرآن فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾(٣).

فينبغي للداعية أن يهنِّئ إخوانه الدعاة والمدعوين ويسر بما يتجدد لهم من النعم ويندفع عنهم من النقم؛ فإن ذلك يجذب قلوبهم لمحبته، ومن ثم قبول دعوته.

عاشراً: إيثار طاعة الرسول ﷺ على مودة القريب:

من صفات الداعية الناجح: إيثار طاعة الله ورسوله على مودة القريب؛ ولهذه الصفة الحميدة لم يرد أبو قتادة السلام على كعب؛ لنهي الرسول ﷺ عن كلامه، قال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تسورت جدار أبي قتادة وهو ابن عمي وأحبُّ الناس إليَّ فسلمت عليه فوالله ما رد عليَّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله، هل تعلمني أُحبُّ الله ورسوله؟ فسكتَ، فعدتُ له فنشدته فسكتَ، فعدتُ له فنشدتُه فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار». وهذا يبين مدى طاعة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لرسول الله ﷺ.

فعلى الداعية أن يحرص على طاعة الرسول ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٤)، وقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»(٥)،

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٥٨٥، وانظر: فتح الباري لابن حجر، ٨/ ١٢٤.

(٢) أخرجه مسلم، في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، ١/ ٥٥٥ برقم ٨١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٤) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٥) متفق عليه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: البخاري، في كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ١/ ١١ برقم ١٥، ومسلم، في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة الرسول ﷺ أكثر من الأهل والولد والناس=

وهذا يدل الداعية على أن طاعة النبي ﷺ مقدمة على طاعة كل أحد من البشر.

الحادي عشر: عناية الداعية بالمتخلفين عن الطاعة:

من الأمور المهمة: عناية الداعية بالمدعوين المستجيبين المتخلفين عن بعض الطاعات، فيرشدهم ويذكِّرهم ليراجعوا الطاعة ويتوبوا من تقصيرهم؛ قال الإمام ابن القيم رحمه الله في فوائد قصة كعب: «ومنها: أن الإمام والمطاع لا ينبغي له أن يهمل من تخلف عنه في بعض الأمور؛ بل يذكِّره؛ ليراجع الطاعة ويتوب؛ فإن النبي ﷺ قال بتبوك: «**ما فعل كعب**»؟ ولم يذكر سواه من المخلّفين استصلاحاً له ومراعاة، وإهمالاً للقوم المنافقين».[(١)]

فعلى الداعية أن يعتني بالمستجيبين المتخلفين عن بعض الطاعات ويذكرهم، ويتعاهد أحوالهم حتى يستمر هؤلاء على الطاعة، والله المستعان.

الثاني عشر: تأديب المدعو بالهجر إذا اقتضت المصلحة ذلك:

من الحكمة أن يهجر الداعية من يظهر المنكرات ـ إذا لم يحصل بذلك مفسدة ـ على وجه التأديب حتى يتوب تأديباً له، وزجراً لغيره.[(٢)] قال الإمام ابن القيم رحمه الله في فوائد حديث كعب: «وفيه: دليل أيضاً على هجران الإمام، والعالم، والمطاع لمن فعل ما يستوجب العتب، ويكون هجرانه دواء له بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء به، ولا يزيد في الكمية والكيفية عليه فيهلكه، إذ المراد تأديبه لا إتلافه».[(٣)]

ويوضح ذلك ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: من أن الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم، وقلتهم وكثرتهم؛ فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كان هجره يضعف الشرَّ كان مشروعاً، وإن كان المهجور لا يرتدع بذلك، ولا يرتدع به غيره،

= أجمعين ١/ ٦٧ برقم ٤٤.

(١) زاد المعاد لابن القيم، ٣/ ٥٧٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٣/ ٥٧٥.

(٣) المرجع السابق ٣/ ٥٧٨.

بل يزيد الشرَّ والهاجر ضعيف، وتكون مفسدة الهجر راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، كما كان الهجر لبعض الناس أنفع من التأليف؛ ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قوماً ويهجر آخرين[١]، وينبغي أن يفرق بين الهجر لحق الله، وبين الهجر لحق النفس: فالهجر لحق الله تعالى مأمور به، والثاني منهي عنه.[٢]

فعلى الداعية أن يراعي هذه الضوابط في الهجر التأديبي ويضع كل شيء في موضعه كالطبيب الحاذق الذي يعطي العلاج على حسب المرض.

الثالث عشر: من وسائل الدعوة: القدوة الحسنة:

من وسائل الدعوة القدوة الحسنة، وذلك يُرَغِّبُ الداعية في أن يقتدي بالنبي ﷺ في كل أموره، وأن يكون هو قدوة للمدعوين ويقتدي أيضاً بأهل العلم ويتأسى بهم.

وفي الحديث ما يدل على هذه الوسيلة وهو قول كعب رضي الله عنه: «... وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المتخلفون، قد كان يكفيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك. فوالله مازالوا يؤنبونني حتى أردتُ أن أرجع فأُكذِّب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم. رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك. فقلت من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين شهدا بدراً فيهما أسوة فمضيت حين ذكروهما لي»؛ ولهذا قال ابن القيم رحمه الله: «فيه أن الرجل ينبغي له أن يُبرِّدَ حَرَّ المصيبة بروح التأسي بِمَنْ لقي مثل ما لقي..»[٣]، والتأسي بالنظير ينفع في الدنيا بخلاف الآخرة[٤]، لقوله تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾[٥].

---

(١) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨/ ٢٠٤-٢٠٧.
(٢) انظر: المرجع السابق ٢٨/ ٢٠٨ وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١٢٤.
(٣) زاد المعاد ٣/ ٥٧٧.
(٤) انظر: المرجع السابق، ٣/ ٥٧٧، وفتح الباري لابن حجر، ٨/ ١٢٠.
(٥) سورة الزخرف، الآية: ٣٩.

فعلى الداعية أن يكون قدوة في الخير للمدعوين، وأن يتأسى برسول الله ﷺ فيما يصيبه من السراء والضراء وفي كل أحواله، وأن يتأسى بأهل العلم المخلصين. والله المستعان.[١]

الرابع عشر: من موضوعات الدعوة: التحذير من المعاصي وبيان عِظَمِ أمرها:

إن من أهم الموضوعات التي ينبغي للداعية العناية بها وتوضيحها للناس: التحذير من المعاصي وبيان أضرارها وأخطارها على المجتمع المسلم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفيها: عظم أمر المعصية، وقد نبَّهَ الحسن البصري على ذلك فيما أخرجه ابن أبي حاتم عنه قال: يا سبحان الله ما أكل هؤلاء الثلاثة مالاً حراماً، ولا سفكوا دماً حراماً، ولا أفسدوا في الأرض، أصابهم ما سمعتم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر؟».[٢]

فعلى الداعية أن يعتني بهذا الموضوع عناية فائقة؛ لشدة خطره على الفرد والمجتمع.

الخامس عشر: أهمية المداومة على الخير:

دل هذا الحديث على أهمية المداومة على الخير، وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أن مما يستفاد من هذاالحديث: التزام المداومة على الخير الذي ينتفع به[٣]، وهذا واضح من حديث كعب رضي الله عنه حيث قال: «يا رسول الله إنما أنجاني الله بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت. فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث ـ منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ـ أحسن مما أبلاني[٤]، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت..».

فعلى المسلم وخاصة الداعية إلى الله تعالى أن يداوم ويلتزم الأعمال الصالحة ولا يقطعها كما داوم كعب رضي الله عنه على الصدق، ويسأل الله عز وجل أن يعينه على ذلك.

---

(١) انظر: الحديث رقم ٨، الدرس الخامس.
(٢) فتح الباري ٨/ ١٢٣، وكلام الحسن رحمه الله تعالى نقلاً من نفس الموضع.
(٣) انظر: فتح الباري ٨/ ١٢٤.
(٤) أبلاه الله: أي أنعم عليه. فتح الباري لابن حجر ٨/ ١٢٣.

السادس عشر: من أساليب الدعوة: إخبار الداعية عن تفريطه وتقصيره تحذيراً لغيره إذا ظهرت المصلحة:

إن من أساليب الدعوة إخبار الداعية ـ في بعض الأحيان ـ عن تقصيره وتفريطه، وعن سبب ذلك تحذيراً ونصيحة لغيره، إذا تيقن أن في ذلك مصلحة للمدعو، وقد بين الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن ذلك مما يستفاد من قصة كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «فمنها: جواز إخبار الرجل عن تفريطه وتقصيره في طاعة الله ورسوله ﷺ وعن سبب ذلك، وما آل إليه أمره، وفي ذلك من التحذير، والنصيحة، وبيان طرق الخير والشر، وما يترتب عليها ما هو من أهم الأمور». (١)

السابع عشر: أهمية إنكار الغيبة وردها:

إن من الأمور المهمة التي ينبغي للداعية أن يردها وينكر على صاحبها: الغيبة، وقد جاء ذلك في هذا الحديث، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنها: جواز الرد على الطاعن إذا غلب على ظن الراد أنه وهم وغلط، كما قال معاذ للذي طعن في كعب: بئس ما قلت، والله يا رسول الله! ما علمنا عليه إلا خيراً..». (٢)

فينبغي للداعية وغيره من المسلمين أن يرد الغيبة عن أخيه المسلم ولا تقبل من قائلها في مجلسه، ولهذا بين النبي ﷺ عظم ثواب من رد الغيبة عن أخيه المسلم فقال: «**من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**». (٣)

الثامن عشر: أهمية قول الداعية لما لا يعلمه: الله أعلم:

إن من العلم أن يقول الداعية لمن سأله عن شيء لا يعلمه: الله أعلم، أو لا أدري. وقد دل هذا الحديث على ذلك، حين قال أبو قتادة لكعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الله ورسوله أعلم».

وقول الداعية لما لا يعلمه: لا أدري، أو لا أعلم، أو سأراجع المسألة دليل على علمه وورعه وتقواه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ

(١) زاد المعاد ٣/ ٥٧٣، وانظر: فتح الباري لابن حجر، ٨/ ١٢٣.
(٢) زاد المعاد ٣/ ٥٧٥، وانظر: فتح الباري لابن حجر ٨/ ١٢٤.
(٣) أخرجه الإمام أحمد ٦/ ٤٥٠، والترمذي، في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم ٤/ ٣٢٧ برقم ١٩٣١، وقال: هذا حديث حسن، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٥/ ٢٩٥.

مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وقال ﷺ: «من تعمد عليَّ كذباً فليتبوّأ مقعده من النار».[2]

ومن حرص السلف رحمهم الله ورضي عنهم على الصدق ما قاله عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه: «من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم؛ فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم؛ فإن الله قال لنبيه[3]: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[4].

فعلى الداعية أن لا يستحي إذا لم يعلم أن يقول: الله أعلم، أو لا أدري.

التاسع عشر: معاتبة الداعية أصحابه على التقصير:

إن الداعية الحريص على استقامة أصحابه على الخير يعاتبهم على تقصيرهم وما بدر منهم، حباً لهم، ونصحاً، وشفقة عليهم؛ ولهذا ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن ذلك مما يستنبط من حديث كعب رضي الله عنه، فقال: «ومنها: معاتبة الإمام والمطاع أصحابه، ومن يعز عليه، ويكرم عليه؛ فإنه ﷺ عاتب الثلاثة دون سائر من تَخَلَّف عنه، وقد أكثر الناس من مدح عتاب الأحبة واستلذاذه، والسرور به، فكيف بعتاب أحبِّ الخلق على الإطلاق إلى المعتوب عليه، ولله ما كان أحلَى ذلك العتاب، وما أعظم ثمرته، وأجل فائدته، ولله ما نال به الثلاثة من أنواع المسرات وحلاوة الرضا . . .»[5].

***

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.
(٢) متفق عليه: من حديث أنس رضي الله عنه: البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ١/ ٤١ برقم ١٠٨، ومسلم، في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ١/ ١٠، برقم ٢.
(٣) البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة الروم ٦/ ٢٢ برقم ٤٧٧٤، وانظر: الحديث رقم ٥٨، الدرس الحادي عشر.
(٤) سورة ص، الآية: ٨٦.
(٥) زاد المعاد ٣/ ٥٧٦.

١٨- بَابُ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾[١]

١٠-[٢٧٥٩]- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ الفَضْلِ أَبُو النُّعْمَانِ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ[٢]: «إِنَّ نَاساً يَزْعُمُونَ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نُسِخَتْ، وَلَا وَاللهِ مَا نُسِخَتْ، ولَكِنَّها مِمَّا تَهَاوَنَ الناسُ، هُمَا وَالِيَانِ: وَالٍ يَرِثُ وَذَاكَ الذِي يَرْزُق، وَوَالٍ لَا يَرِثُ فَذَاكَ الذِي يَقُولُ بِالْمَعْرُوفِ، يَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ أَنْ أُعْطِيَكَ». [٣]

وفي رواية: «﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ ﴾ قَالَ هِيَ مُحْكَمَةٌ وَلَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ». [٤]

○ شرح غريب الحديث:

* «**يزعمون**» الزعم: قريب من الظن[٥]، وقيل: هو القول يكون حقاً ويكون باطلاً. وقيل: الزعم: الظن، وقيل: الكذب. [٦]

* «**نسخت**» النسخ: أمر كان يعمل به من قبل ثم ينسخ بحادث غيره، كالآية ينزل فيها أمر ثم تنسخ بآية أخرى، وكل شيء خلف شيئاً فقد نسخه، أي أبطله وقام مقامه، والأول منسوخ والثاني ناسخ، يقال: نسخت الشمس الظلّ: أي أزالت الظل وحلت محله. [٧]

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨.
(٢) تقدمت ترجمته في حديث رقم ٥-٢٧٤٣.
(٣) طرفه، في كتاب التفسير، سورة النساء، باب ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ ٥/ ٢١٠ برقم ٤٥٧٦.
(٤) من الطرف رقم ٤٥٧٦.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الزاي مع العين، مادة «زعم» ٢/ ٣٠٣.
(٦) لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، فصل الزاي، باب الميم، مادة «زعم» ١٢/ ٢٦٤.
(٧) انظر: معجم المقاييس في اللغة، لابن فارس، مادة «نسخ» ص ١٠٢٦، ولسان العرب لابن منظور، باب الخاء، فصل النون، ٣/ ٦١، والقاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، باب الخاء، فصل النون، ص ٣٣٤، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير، باب النون مع السين، ٥/ ٤٧.

○ الدراسة الدعوية للحديث:

في هذا الحديث دروس وفوائد دعوية، منها:

١- من موضوعات الدعوة: الإحسان إلى الأقرباء واليتامى والمساكين.

٢- من موضوعات الدعوة: بيان الناسخ والمنسوخ عند الحاجة.

٣- من صفات الداعية: القول اللطيف الحسن.

٤- الرد بالحكمة على من ظهر منه مخالفة للنصوص الشرعية.

٥- من أساليب الدعوة: التوكيد بالقسم.

والحديث عن هذه الدروس والفوائد الدعوية على النحو الآتي:

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإحسان إلى الأقرباء واليتامى والمساكين:

دل هذا الحديث على العناية بالأقارب واليتامى والمساكين؛ لقول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾، قال: هي محكمة وليست بمنسوخة. وقد أمر الله تعالى بالإحسان إليهم في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ . . .﴾ الآية[1].

وقال تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ . . .﴾ الآية[2].

فعلى الدعاة إلى الله أن يبلِّغوا الناس هذا الواجب العظيم، الذي عظم الله شأنه، وعظم شأنه النبي ﷺ؛ ولهذا قال ﷺ: «**من سره أن يُبْسَطَ لَهُ في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره فليصل رحمه**»[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٣) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه: البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، ٧/ ٩٥ برقم ٥٩٨٥ ومسلم، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ٤/ ١٩٨٢ برقم ٢٥٥٧.

وقال ﷺ: «**الصدقة على المسكين صدقةٌ، وهي على ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة**»(١).

فعلى الداعية أن يحث الناس على العناية بهذا الأمر، ويرغبهم فيه، ويحذرهم من التهاون به.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان الناسخ والمنسوخ عند الحاجة:

إن المدعوين قد يحتاجون إلى بيان الناسخ والمنسوخ على حسب الحاجة والمصلحة الشرعية؛ لأهمية هذا الموضوع؛ ولهذا قال الإمام القرطبي رحمه الله في أهمية معرفة الناسخ والمنسوخ وتبليغه: «معرفة هذا الباب أكيدة وفائدته عظيمة لا يستغني عن معرفته العلماء، ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء؛ لما يترتب عليه من النوازل في الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام»(٢).

فعلى الداعية أن يبين الناسخ والمنسوخ عند حاجة المدعو إلى ذلك، ويكون عن علم وبصيرة. والله المستعان(٣).

ثالثاً: من صفات الداعية: القول اللطيف الحسن:

من الصفات الجميلة والأخلاق الحميدة أن يحسن الداعية إلى المدعوين بالفعل والقول؛ فإن لم يستطع بالفعل فبالقول الحسن كما في الآية المذكورة في هذا الحديث: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾(٤).

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «بين الله تعالى أن من لم يستحق شيئاً إرثاً وحضر القسمة، وكان من الأقارب أو اليتامى، والفقراء الذين لا يرثون أن يُكرموا ولا يُحرموا إن كان المال كثيراً، والاعتذار إليهم إن كان عقاراً أو قليلاً..»(٥).

---

(١) الترمذي، ٣/ ٣٧ برقم ٦٥٨، والنسائي، برقم ٢٥٨٢، وتقدم تخريجه في الحديث رقم ٧، الدرس الأول، ص ٨٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢/ ٦٦.
(٣) انظر: الحديث رقم ٦، الدرس الثالث.
(٤) سورة النساء، الآية: ٨.
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٥/ ٤٨.

وقد أمر الله ﷻ بالاعتذار والقول الحسن المعروف لمن لا يستطيع الإحسان بالفعل، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾[١].

فعلى الداعية أن يتخلَّق بهذا الخلق الجميل، وأن يسأل الله تعالى أن يوفقه ويعينه؛ فإنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع سبحانه.

رابعاً: الرد بالحكمة على من ظهر منه مخالفة للنصوص الشرعية:

ظهر في هذا الحديث الرد الحكيم من ابن عباس رضي الله عنهما على من خالفه في حكم هذه الآية الكريمة، وذلك أنه قال رضي الله عنه: «إن ناساً يزعمون أن هذه الآية نسخت...» ولم يصرح ولم يشهر بأسمائهم، وهذا من الحكمة التي كان النبي ﷺ يعمل بها في دعوته، فقد كان ﷺ يقول: «**ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم؟...**» الحديث[٢]، «**ما بال أناس يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله؟...**» الحديث[٣]، «**ما بال أقوام يتنزهون عن شيء أصنعه...**» الحديث[٤]، «**ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي وأنام؟...**» الحديث[٥].

فعلى الداعية أن لا يصرح بالأسماء في دعوته للناس، ولا يواجه بالعتاب، بل يسلك مسلك النبي ﷺ في دعوته وكفى.

خامساً: من أساليب الدعوة: التوكيد بالقسم:

أسلوب التوكيد بالقسم يثبت المعاني في القلوب، ويحملها على التصديق والإيمان، وسرعة التنفيذ بفعل المأمورات وترك المنهيات[٦]، وفي هذا

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٨.

(٢) البخاري، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، ١/ ٢٠٥ برقم ٧٥٠، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) البخاري، كتاب المكاتب، باب ما يجوز من شروط المكاتب، ٢/ ١٧٣ برقم ٢٥٦١.

(٤) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها: البخاري، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب ٧/ ١٢٦ برقم ٦١٠١، ومسلم، كتاب الفضائل، باب علمه ﷺ بالله وشدة خشيته ٤/ ١٨٢٩ برقم ٢٣٥٦.

(٥) مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ٢/ ١٠٢٠ برقم ١٤٠١.

(٦) انظر: تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» للطبري، ٤/ ٤٧، ومفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة: «قسم» ص ٦٧٠، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٩/ ٩٠.

الحديث يظهر هذا الأسلوب في قول ابن عباس رضي الله عنهما: «ولا والله ما نسخت».

فعلى الداعية أن يستخدم هذا الأسلوب عند الحاجة إليه؛ ولهذه الأهمية أقسم الله عز وجل في مواضع كثيرة تأكيداً لصدق ما يقول، وهو أصدق القائلين: قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[1]. وقال النبي ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة: يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**».[2]

* * *

(١) سورة التغابن، الآية: ٧.

(٢) مسلم، ١/ ١٣٤ برقم ١٥٣، وتقدم تخريجه في الحديث رقم ٦، الدرس الثالث، ص ٧٧.

١٩- بَابُ مَايُسْتَحَبُّ لِمَنْ تُوفِّيَ فَجْأَةً أَنْ يَتَصَدَّقُوا عَنْهُ، وَقَضَاءِ النُّذُورِ عَنِ الْمَيِّتِ

١١-[٢٧٦١]- حَدَّثَنَا عَبْدُاللهِ بنُ يُوسُفَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنِ ابنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيدِ اللهِ بنِ عبدِاللهِ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (١) أَنَّ سَعْدَ بنَ عُبادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اسْتَفْتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا نَذْرٌ، فقال: «اقضِهِ عَنْهَا». (٢)

وفي رواية: «أَنَّ سَعْدَ(٣) بْنَ عُبَادَةَ الْأَنْصَارِيَّ اسْتَفْتَى النَّبِيَّ ﷺ فِي نَذْرٍ كَانَ عَلَى أُمِّهِ فَتُوُفِّيَتْ قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَهُ فَأَفْتَاهُ أَنْ يَقْضِيَهُ عَنْهَا، فَكَانَتْ سُنَّةً بَعْدُ»(٤).

وفي رواية: «وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ إِذَا بَلَغَتِ الْإِبِلُ عِشْرِينَ فَفِيهَا أَرْبَعُ شِياهٍ، فَإِنْ وَهَبَهَا قَبْلَ الْحَوْلِ أَوْ بَاعَهَا فِرَارًا وَاحتِيَالًا لِإِسْقَاطِ الزَّكَاةِ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ إِنْ أَتْلَفَهَا فَمَاتَ فَلَا شَيْءَ فِي مَالِهِ». (٥)

○ الدراسة الدعوية للحديث:

في هذا الحديث دروس وفوائد دعوية، منها:

١- أهمية السؤال في تحصيل العلم.

٢- مسارعة المدعو إلى عمل الخير.

٣- من موضوعات الدعوة: الحث على الإحسان إلى الوالدين بعد موتهما.

٤- أهمية استشارة العلماء.

٥- من وسائل الدعوة: القدوة الحسنة.

٦- من أساليب الدعوة: الترغيب.

٧- من موضوعات الدعوة: الحث على أداء الزكاة.

---

(١) تُرجم له في الحديث رقم ٥-٢٧٤٣.

(٢) [٢٧٦١] طرفاه: في كتاب الأيمان والنذور، باب من مات وعليه نذر، ٧/ ٢٩٧ برقم ٦٦٩٨، وكتاب الحيل، باب في الزكاة وأن لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق خشية الصدقة، ٨/ ٧٧ برقم ٦٩٥٩. وأخرجه مسلم، في كتاب النذر، باب الأمر بقضاء النذر، ٣/ ١٢٦٠ برقم ١٦٣٨.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم: ٨.

(٤) الطرف رقم ٦٦٩٨.

(٥) من الطرف رقم ٦٩٥٩.

والحديث عن هذه الدروس والفوائد الدعوية على النحو الآتي:

أولاً: أهمية السؤال في تحصيل العلم:

دل هذا الحديث على أهمية سؤال العالم عند الجهل، أو عند اشتباه الأمور؛ لأن هذا الصحابي رضي الله عنه ترك الحكم بالرأي عندما لم يكن يعلم هل تنفع الصدقة عن أمه أم لا؟ ولم يقدم عليها برأيه وإنما سأل النبي ﷺ[١].

قال ابن حجر رحمه الله: «وفيه السؤال عن التحمل...»[٢]، وقال الإمام الأبي رحمه الله: «فيه استفتاء الأعلم...»[٣].

فينبغي للجاهل أن يسأل العالم عما أشكل عليه حتى يكون على بصيرة.[٤]

ثانيا: مسارعة المدعو إلى عمل الخير:

دل الحديث على مسارعة المدعو إلى الخير؛ لأن الصحابي الجليل رضي الله عنه عندما علم بأن قضاء النذر عن أمه ينفع بادر إلى ذلك؛ ولهذا ذكر الإمام ابن حجر رحمه الله: «أن في الحديث المسارعة إلى عمل البر والمبادرة إلى بر الوالدين».[٥]

فعلى المدعو أن يبادر إلى أعمال البر والتقوى، ويسارع إلى ذلك.[٦]

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الإحسان إلى الوالدين بعد موتهما:

إن بر الوالدين والإحسان إليهما من أعظم القربات إلى الله تعالى. وبرهما يكون في حياتهما وبعد موتهما، فمن فاته الإحسان إلى والديه في حياتهما فقد جعل الله له ذلك بعد موتهما، سواء كان الإحسان: بالصدقة عليهما، أو الاستغفار والدعاء، أو قضاء الديون والنذور، أو إنفاذ عهدهما من بعدهما، أو صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، أو صلة أهل ودِّهما، أو غير ذلك من

(١) انظر: بهجة النفوس: شرح مختصر صحيح البخاري لابن أبي جمرة، ٣/ ٩٥.
(٢) فتح الباري ٥/ ٣٩٠.
(٣) إكمال إكمال المعلم، للإمام محمد بن خليفة الأبي ٦/ ٥، وانظر: شرح الزرقاني على الموطأ ٣/ ٧٤.
(٤) انظر: الحديث رقم ٨، الدرس الأول.
(٥) انظر: فتح الباري ٥/ ٣٩٠.
(٦) انظر: الحديث رقم ٨، الدرس الثاني.

أعمال البر؛ لقوله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له**».[١]

فعلى الداعية أن يبين للناس هذا الموضوع ويحثهم على الإحسان إلى الوالدين في الحياة وبعد الممات.[٢] والله المستعان.[٣]

رابعاً: أهمية استشارة العلماء:

من الأمور المهمة التي ينبغي للداعية والمدعو العناية بها: الاستشارة للعلماء المخلصين في أمور الدين؛ لأن ذلك مما يسبب النجاح والتوفيق بإذن الله تعالى؛ فإنه ما خاب من استخار ولا ندم من استشار، وقد بين سبحانه وتعالى للناس مكانة الشورى، وأنها من صفات المؤمنين فقال: ﴿. . . وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٤]؛ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فوائد هذا الحديث: «وفيه ما كان الصحابة عليه من استشارة النبي ﷺ في أمور الدين»[٥].

فعلى المدعو أن يستشير العلماء والدعاة في كل ما يشكل عليه، وعلى الدعاة أيضاً أن يستشيروا العلماء حَتَّىٰ تنجح أعمالهم وتصرفاتهم بإذن الله تعالى.[٦]

خامساً: من وسائل الدعوة: القدوة الحسنة:

القدوة الحسنة من أهم وسائل الدعوة؛ لأن العمل يؤثر في الغالب على المدعو أكثر من القول، وقد دل هذا الحديث على القدوة في قوله: «فكانت سنة بعد»، قال الإمام الكرماني رحمه الله: «أي صار قضاء الوارث حقوق الموروث طريقة شرعية؛ لأن القضاء في بعض المواضع واجب كما إذا كان

---

(١) صحيح مسلم، ٣/ ١٢٥٥ برقم ١٦٣١، وتقدم تخريجه في الحديث رقم ٢، الدرس الرابع، ص ٦٠.
(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٥/ ٣٩٠، و١١/ ٥٨٥.
(٣) انظر: الحديث رقم ٨، الدرس الرابع.
(٤) سورة الشورى، الآية: ٣٨.
(٥) فتح الباري، ٥/ ٣٩٠.
(٦) انظر: مجموع مؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي [الثقافة] ١/ ١٤٤، ١٩٠-١٩١.

ماليًا وثمة تركة»[١]، وقال العيني رحمه الله: «فكانت فتوى النبي ﷺ سنة يعمل بها، بعد إفتاء النبي ﷺ، والضمير في كانت يرجع إلى الفتوى»[٢].

فهذا الصحابي رضي الله عنه كان سؤاله وعمله بفتوى النبي ﷺ طريقة شرعية في قضاء ما على الميت من الديون والنذور والواجبات، فعلى الداعية أن يكون قدوة في الخير.[٣]

سادساً: من أساليب الدعوة: الترغيب:

في هذا الحديث ترغيب في الإحسان إلى الوالدين بعد موتهما، وبيان لفضل الله تعالى على الآباء ببركة عمل الأبناء ودعائهم لهم؛ ولهذا قال ﷺ: **«إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا ربِّ أنَّى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»**[٤].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفيه فضل بر الوالدين بعد الوفاة، والتوصل إلى براءة ما في ذمتهم»[٥].

فعلى الداعية أن يرغب الناس في ذلك؛ لأن الترغيب له أثر في النفوس ونشاط في العمل، وطمع في فضل الله تعالى.[٦]

سابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على أداء الزكاة:

دل الحديث على أن الحث على أداء الزكاة من موضوعات الدعوة؛ لأهميتها؛ ولكونها من أركان الإسلام العظام، وهي قرينة الصلاة في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[٧].

---

(١) شرح الكرماني على صحيح الإمام البخاري ٢٣/ ١٣٤، وانظر: فتح الباري لابن حجر، ١١/ ٥٨٤.
(٢) عمدة القاري ٢٣/ ٢١٠، وانظر: إرشاد الساري للقسطلاني، ٩/ ٤٠٧.
(٣) انظر: الحديث رقم ٣، الدرس الثالث.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٠٩، وصحح إسناده الإمام ابن كثير في تفسيره، ٤/ ٢٤٣.
(٥) فتح الباري ١١/ ٨٥.
(٦) انظر: الحديث رقم ٧، الدرس الرابع عشر، ورقم ٨، الدرس الرابع.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

فعلى الداعية أن يبين للمدعوين المستجيبين أصناف الأموال الزكوية، ومقادير الأنصباء لكل صنف، وشروط وجوب الزكاة على المسلم، ومقادير الواجب في ذلك، وأصناف أهل الزكاة؛ لأن ذلك من أصول الدين التي ينبغي العناية بها وتوضيحها للناس.[١]

* * *

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر، ١٢/ ٣٣١.

٢٣- باب قول الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[١]

١٢-[٢٧٦٦]- حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عَبْدِ اللهِ قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمانُ بنُ بِلالٍ، عَنْ ثَورِ بنِ زَيدٍ المَدَنيِّ، عَنْ أَبِي الغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه،[٢] عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ باللهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ؛ وَأَكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤمِناتِ الغَافِلاتِ**»[٣].

○ شرح غريب الحديث:

* «**الموبقات**» المهلكات، ويقال: أوبقته ذنوبه: أي حبسته.[٤]

* «**يوم الزحف**» يوم الالتقاء في قتال العدو؛ لأنهم يزحفون: أي يتقدمون إليهم.[٥]

* «**وقذفُ**» القذف: الرمي بقوة.[٦]

* «**المحصنات**» الإحصان في كلام العرب: المنع، فتكون المرأة محصنة بالإسلام؛ لأن الإسلام يكفها عما لا يحل، وتكون محصنة بالعفاف والحياء من أن تفعل ما تعاب به[٧]، والمراد: الحرائر العفيفات.[٨]

* «**الغافلات**» كناية عن البريئات؛ لأن البريء غافل عما بهت به من الزنا.[٩]

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠.
(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم: ٧.
(٣) [الحديث ٢٧٦٦] طرفاه: في كتاب الطب، باب الشرك والسحر من الموبقات، ٧/ ٣٧ برقم ٥٧٦٤، وكتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رمي المحصنات ٨/ ٤٢ برقم ٦٨٥٧.
وأخرجه مسلم، في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ١/ ٩٢ برقم ٨٩.
(٤) تفسير غريب ما في الصحيحين، لأبي عبدالله الحميدي، ص ٣١٩.
(٥) المرجع السابق ص ٣١٩.
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب القاف مع الذال، مادة «قذف» ٤/ ٢٩.
(٧) تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي ص ٢٣٩، و ٥٣٤.
(٨) انظر: فتح الباري لابن حجر، ١٢/ ١٨١.
(٩) عمدة القاري للعيني، ١٤/ ٦٢، وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٤٤٣.

○ الدراسة الدعوية للحديث:

في هذا الحديث دروس وفوائد دعوية، منها:

١- من موضوعات الدعوة: التحذير من السبع المهلكات.

٢- أهمية سؤال المدعو عما لم يفهم.

٣- من أساليب الدعوة: الترهيب.

٤- من أساليب الدعوة: ذكر العدد إجمالاً ثم تفصيلاً.

والحديث عن هذه الدروس والفوائد الدعوية بالتفصيل على النحو الآتي:

أولاً: من موضوعات الدعوة: التحذير من السبع المهلكات:

من الموضوعات المهمة في الدعوة، تحذير الناس من الكبائر وخاصة الموبقات التي تهلك الإنسان المسلم، وأعظمها جرماً وأكبرها قبحاً: الشرك بالله تعالى؛ لأنه يحبط العمل ويخلد صاحبه في النار، إذا مات عليه، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[(١)]، ثم تأتي الكبائر بعده في الجرم وعظم الذنب، والكبائر كثيرة لا تحصر، ولكن يجمعها أن كل ذنب ترتب عليه حدٌّ في الدنيا، أو تُوعِّدَ عليه بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، أو العذاب، أو نفي الإيمان، أو نحو ذلك، فهو من الكبائر[(٢)]، وأشد هذه الكبائر إثماً وعقاباً السبع الموبقات المذكورة في هذا الحديث.[(٣)]

فعلى الداعية أن يحذر الناس من الذنوب كبيرها وصغيرها، ولكن يهتم اهتماماً كبيراً في التحذير والزجر عن هذه الموبقات السبع.[(٤)]

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٢) انظر: شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ٢/ ٤٤٤، وشرح العقيدة الطحاوية، للعلامة علي بن علي بن أبي العز، ص ٤١٨.

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٤٤١، وفتح الباري لابن حجر، ١٢/ ١٨٤، وعمدة القاري للعيني، ١٤/ ٦٢.

(٤) انظر: الحديث رقم ٩، الدرس الرابع عشر.

ثانياً: أهمية سؤال المدعو عما لم يفهم:

دل هذا الحديث على أن المدعو الموفق هو الذي يسأل عما أشكل عليه ولم يفهمه؛ لأن الصحابة ﷺ سألوا النبي ﷺ عندما قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» فقالوا: «**وما هُنّ؟**» فبين لهم النبي ﷺ ما أشكل عليهم.

فينبغي للمدعو أن يسأل عن كل ما أشكل عليه كما قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١]، وهذا يؤكد أهمية السؤال عما أشكل.[٢]

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترهيب:

لا شك أن أسلوب الترهيب يخوّف المدعو ويُحذِّره من كل ما يضره في الدنيا والآخرة، ويظهر في هذا الحديث استخدام النبي ﷺ لهذا الأسلوب في قوله: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، وهذا اللفظ يخوّف المدعو مما يهلكه ويضره؛ ولهذا ينبغي للداعية أن يستخدم هذا الأسلوب مع المدعوين ويوضح لهم أن انتشار هذه المهلكات في المجتمعات من أسباب الهلاك، والضلال، والانحراف، والانحلال والاختلاف.[٣]

رابعاً: من أساليب الدعوة: ذكر العدد إجمالاً ثم تفصيلًا:

أسلوب ذكر العدد: إجمالًا ثم تفصيلاً مهم في الدعوة إلى الله تعالى، وهو ظاهر في هذا الحديث في قوله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، فقد أجمل أولًا ثم فسر ﷺ ما أجمل، ومن المعلوم أن الإخبار بالإجمال يحصل به للنفس المعرفة بغاية المذكور، ثم تبقى متشوقة إلى معرفة معناه، فيكون ذلك أوقع في النفس وأعظم في الفائدة.[٤]

فعلى الداعية أن يستخدم أسلوب ذكر العدد إجمالًا ثم تفصيلاً في دعوته؛

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧.
(٢) انظر: الحديث رقم ٨، الدرس الأول، ورقم ١١، الدرس الأول.
(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر، ١٢/ ١٨٢-١٨٤، وانظر: الحديث رقم ٧، الدرس الثالث عشر.
(٤) انظر: بهجة النفوس، لابن أبي جمرة ١/ ٩٧، وإكمال إكمال المعلم، للأبي ١/ ٢٣٢، ٢٣٣.

لأنه إذا فعل ذلك يشدُّ أذهان المدعوين إلى حديثه، ليتمكنوا من معرفة نتيجة العدد وتفسيره؛ فإذا سمع المدعو قوله ﷺ: «**أربع إذا كُنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا**...» ـ فإنه حينئذ ينتبه وينتظر ذكر هذه الأربع برغبة واشتياق ـ «... **حفظ أمانة، وصدق حديث، وحُسنُ خليقة، وعفةٌ في طعمة**»[1]، ويحتمل أن يدل العدد المبهم المجمل على التعظيم والتفخيم. وهذا يبين أهمية ذكر الداعية العدد إجمالًا ثم تفصيلاً في أساليبه الدعوية، والله تعالى أعلم.

***

(١) أخرجه أحمد في المسند، ٢/ ١٧٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١/ ٣٠١.

٢٤- باب قول الله تعالىٰ:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١]

«لأعنتكم»: لأحرجكم وضيَّقَ عليكم. «وعَنَت»: خَضعَت.

١٣-[٢٧٦٧]- وَقَالَ لَنَا سُلَيمانُ بنُ حَرْبٍ: حَدَّثَنَا حَمّادٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ نَافِعٍ[٢] قَالَ: مَا رَدَّ ابنُ عُمَرَ[٣] عَلَى أَحَدٍ وَصِيَّتَهُ، وَكَانَ ابنُ سِيرِينَ أَحَبَّ الأَشْيَاءِ إِلَيهِ فِي مَالِ اليَتِيمِ أَنْ يَجْتَمِعَ إِلَيهِ نُصَحَاؤُهُ، وَأَولياؤُهُ، فَيَنْظُرُوا الَّذِي هُوَ خيرٌ لَهُ، وَكَانَ طاوُسٌ إِذا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ اليَتامَىٰ قَرَأَ ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾، وَقَالَ عَطاءٌ فِي يَتامَى الصَّغِيرِ والْكَبِيرِ: يُنفِقُ الوَلِيُّ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ بِقَدْرِهِ مِنْ حِصَّتِهِ.

○ شرح غريب الحديث:

* «**نُصَحَاؤُهُ**» جمع ناصح، وهو من أراد الخير للمنصوح له.[٤]
* «**أولياؤه**» أي: من تولَّى أمره وقام على مصالحه.[٥]

○ الدراسة الدعوية للحديث:

في هذا الخبر دروس وفوائد دعوية، منها:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

(٢) نافع بن هرمز ويقال: بن كاوس، أبو عبدالله الإمام المفتي الثبت، عالم المدينة في عصره، مولى ابن عمر، سُبي وهو صغير فاشتراه ابن عمر، والأرجح في الجملة أنه من سبي فارس، وهو تابعي جليل، نقل علماً كثيراً عن جمع من الصحابة، وعن خلائق من التابعين، وأجمعوا على توثيقه وجلالته. قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: «أصح الأسانيد: مالك عن نافع عن ابن عمر» مات بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة، وقيل: سنة تسع عشرة ومائة، وقيل: سنة عشرين. انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/ ١٢٣، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ٥/ ٩٥.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم: ١.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب النون مع الصاد، مادة «نصح» ٥/ ٦٣، وعمدة القاري للعيني، ١٤/ ٦٥، وإرشاد الساري للقسطلاني، ٥/ ٢٣.

(٥) انظر. النهاية في غريب الحديث، باب الواو مع اللام، ٥/ ٢٢٩.

١- من صفات الداعية: الرحمة.
٢- من صفات الداعية: الرغبة فيما عند الله تعالى.
٣- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.
٤- من موضوعات الدعوة: الحث على الإحسان إلى الأيتام والعناية بمصالحهم.

والحديث عن هذه الدروس والفوائد الدعوية على النحو الآتي:

أولاً: من صفات الداعية: الرحمة:

دل هذا الحديث على أن من صفات الداعية الناجح أن يرحم الناس، وخاصة الأيتام؛ ولهذا لم يرد ابن عمر رضي الله عنهما على أحد وصيته رحمة بالأيتام، ومن أجل ذلك أوصى النبي ﷺ بالأيتام والعناية بهم.(١)

فعلى الداعية أن يتصف بهذه الصفة الحميدة، ويكون رحيماً بالمؤمنين وخاصة اليتامى الذين فقدوا آباءهم؛ فإن الله لا يخيِّب سعيه. والله المستعان.(٢)

ثانياً: من صفات الدعاة: الرغبة فيما عند الله تعالى:

يظهر في هذا الخبر رغبة الصحابي الجليل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فيما عند الله تعالى، وذلك في عدم ردِّه على أحد وصيته، وكأنه يبتغي الأجر بقوله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئاً.(٣)

فينبغي للداعية أن يرغب فيما عند الله تعالى؛ فإن ذلك من أعظم القربات: ﴿... وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٤).

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

إن من الأساليب النافعة في الدعوة إلى الله تعالى: الترغيب والترهيب،

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٥/ ٣٩٤.
(٢) انظر: الحديث رقم ٥، الدرس الأول، ورقم ٩، الدرس الثالث.
(٣) البخاري، في كتاب الطلاق، باب اللعان، ٦/ ٢١٨ برقم ٥٣٠٤، وفي كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيماً، ٧/ ١٠١ برقم ٦٠٠٥.
(٤) سورة القصص، الآية: ٦٠.

وهذا ظاهر في هذا الخبر في قول طاووس: حيث كان إذا سئل عن شيء من أمر اليتامى قرأ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في تفسير هذه الآية: «تحذير: أي يعلم المفسد لأموال اليتامىٰ من المصلح، فيجازي كلاً على إصلاحه وإفساده». (١)

وقال سبحانه: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٢).

فينبغي للداعية أن يستخدم أسلوب الترغيب والترهيب في دعوته؛ فإن ذلك مما يؤثر على المدعو. (٣)

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الإحسان إلى الأيتام والعناية بمصالحهم:

إن من الموضوعات المهمة: الحث على الإحسان إلى اليتامى، والعناية بهم وبمصالحهم، وتربيتهم التربية الإسلامية، والإنفاق عليهم من أموالهم أو من غيرها بالمعروف، وتنمية عقولهم وأموالهم (٤)، وقد أمر الله تعالى بالعناية باليتامى في آيات كثيرة ومنها قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ . . .﴾ (٥)، وحذر سبحانه عن إفساد أموالهم وأكلها بالباطل، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (٦).

فعلى الداعية أن يبين للناس أهمية هذا الموضوع، ويوضح لهم ما أوجب الله عليهم من العناية باليتامى، ورعاية مصالحهم الدينية والدنيوية. (٧)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٣/ ٦٩، وانظر: تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» ٤/ ٣٥٧، وانظر أيضاً: الحديث رقم ٧، الدرس الثالث عشر.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩.

(٣) انظر: الحديث رقم ٧، الدرس الرابع عشر، ورقم ١١، الدرس السادس.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» ٤/ ٣٤٩، وتفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» ٣/ ٦٦-٦٩، وفتح الباري لابن حجر، ٥/ ٣٩٥، وعمدة القاري للعيني ١٤/ ٦٥.

(٥) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٧) انظر: الحديث رقم ١٠، الدرس الأول.

٢٥- بَابُ اسْتِخْدَامِ الْيَتِيمِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ إِذَا كَانَ صَلاحاً لَهُ ونَظَرِ الأُمِّ أَو زَوجها لليتيم

١٤ -[٢٧٦٨]- حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بنُ إِبْرَاهِيمَ بنِ كَثِيرٍ: حَدَّثَنَا ابنُ عُلَيَّةَ: حَدَّثَنَا عبدُالعَزِيزِ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه،(١) قَالَ: «قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ خادِمٌ، فَأَخذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَنَساً غُلاَمٌ كَيِّسٌ فَلْيَخْدُمْكَ، قَالَ: فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟ وَلاَ لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذا؟»(٢).

وفي رواية: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَلاَ لِمَ صَنَعْتَ؟ ولاَ: أَلاَ صَنَعْتَ؟». (٣)

وفي رواية: «... فَوَاللهِ مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا وَلاَ لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذا؟». (٤)

---

(١) أنس بن مالك بن النضر بن ضُمضُم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، وأحد المكثرين من الرواية عنه، وقرابته من النساء، وتلميذه، وآخر أصحابه موتاً، ولد رضي الله عنه قبل الهجرة بعشر سنين، وعندما قدم النبي ﷺ إلى المدينة جاءت أم سُليم بابنها أنس إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقالت: يا رسول الله! هذا أنس ابني أتيتك به يخدمك فادع الله له، فقبَّله النبي ﷺ ودعا له، وكان مجموع ما روي عنه وثبت في دعائه له: «اللهم أكثر ماله، وولده، وبارك له فيما أعطيته [وأطل حياته واغفر له] [وأدخله الجنة]». وخدم النبي ﷺ عشر سنوات، وشهد بدراً صبيًّا ثم المشاهد والغزوات بعدها، ومات النبي ﷺ وأنس ابن عشرين سنة، فكان رضي الله عنه إماماً، مفتياً، داعية، راوية الإسلام، روى عن النبي ﷺ وبلَّغ عنه علماً جمًّا بَلَغ ألفين ومائتين وستة وثمانين حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على مائة وثمانية وستين، وانفرد البخاري بثلاثة وثمانين، ومسلم بواحد وسبعين، وقد عُمِّر حيث عاش مائة وثلاث سنين، توفي على الصحيح سنة ٩٣هـ رضي الله عنه وأرضاه.
انظر: تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ١/ ١٢٧، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ٣٩٥-٤٠٦، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ١/ ٧١-٧٢.

(٢) [الحديث ٢٧٦٨] طرفاه: في كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ٧/ ١٠٩ برقم ٦٠٣٨، وفي كتاب الديات، باب من استعان عبداً أو صبياً ٨/ ٥٩ برقم ٦٩١١.
وأخرجه مسلم، في كتاب الفضائل، باب كان ﷺ أحسن الناس خلقاً، ٤/ ١٨٠٤ برقم ٢٣٠٩.

(٣) من الطرف رقم ٦٠٣٨.

(٤) من الطرف رقم ٦٩١١.

○ شرح غريب الحديث:

* «**كَيِّسٌ**» الكَيِّسُ: العاقل[١]، وهو الذي لا يقع منه خلَلٌ غالباً في الدين.[٢]

* «**أُفٍّ**» أصل الأف: كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر، وما جرى مجراها، ويقال ذلك لكل مستخف به، ويقال عند التكره من الشيء، وعند التضجّر منه.[٣]

○ الدراسة الدعوية للحديث:

في هذا الحديث دروس وفوائد دعوية، منها:

١- من صفات الداعية: الخلق الحسن.
٢- من آداب الداعية: ترك العتاب على ما فات استئلافاً للمدعو.
٣- أدب المدعو مع العالم والداعية.
٤- من صفات الداعية: الكَيْسُ والنشاط.
٥- من أساليب الدعوة: التوكيد بالقسم.
٦- من وسائل الدعوة: القدوة الحسنة.

والحديث عن هذه الدروس والفوائد الدعوية على النحو الآتي:

أولاً: من صفات الداعية: الخلق الحسن:

دل الحديث على أن الخلق الحسن من أعظم صفات الداعية؛ ولهذا قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذا الحديث بيان كمال خلقه ﷺ وحسن عشرته، وحلمه وصفحه»[٤]، وقال الإمام ابن أبي جمرة: «فيه دليل على حسن خلق النبي وكثرة ما أمده الله عَزَّوَجَلَّ به من قوة اليقين؛ لأن أنساً بقي في خدمته ﷺ

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، باب الكاف مع الياء، مادة «كيس» ٤/ ٢١٧، وانظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي ص ٢٠٨.
(٢) بهجة النفوس لابن أبي جمرة، ٣/ ٨٠.
(٣) انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص ٢٥٤، ومفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص ٧٩، وفتح الباري لابن حجر، ١٠/ ٤٦٠.
(٤) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ١٥/ ٧٨، وانظر: شرح الكرماني على صحيح الإمام البخاري ١٢/ ٨٣، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام القرطبي ٦/ ١٠٤.

عشر سنين ثم مع طول السنين ومباشرة الخدمة لم يقل له النبي ﷺ: قط لِمَ فعلت هذا هكذا، ولا لِمَ لَمْ تفعل..؟»[١].

فعلى الداعية أن يتصف بحسن الخلق؛ فإن النبي ﷺ بعثه الله تعالى ليتمم مكارم الأخلاق كما قال ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[٢]، ومما يدل على أهمية حسن الخلق للداعية أن الله تعالى أمر به إمام الدعاة وقائدهم محمداً ﷺ، وأثنى عليه به، قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤]، وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت: «... فإن خلق نبيكم ﷺ كان القرآن»[٥]، وهذا يحث الداعية على أن يسأل الله تعالى أن يرزقه الخلق الحسن؛ فإن النبي ﷺ كان يقول: «... **واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت**...»[٦].

ثانياً: من أدب الداعية: ترك العتاب على ما فات استئلافاً للمدعو:

من الأمور المهمة للداعية أن لا يلوم ولا يعاتب أحداً على ما فات، وخاصة في أمور الدنيا التي لا إثم في تركها؛ ولهذا قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ويستفاد من هذا ترك العتاب على ما فات؛ لأن هناك مندوحة عنه باستئناف الأمر به إذا احتيج إليه، وفائدة تنزيه اللسان عن الزجر والذم واستئلاف خاطر الخادم بترك معاتبته، وكل ذلك في الأمور التي تتعلق بحظ الإنسان، وأما الأمور اللازمة شرعاً فلا يتسامح فيها؛ لأنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٧].

فعلى الداعية أن لا يعاتب لحظ نفسه ولا لأجل الدنيا، بل عليه أن يعفو ويصفح كما فعل النبي ﷺ مع أنس رضي الله عنه.

---

(١) بهجة النفوس ٣/ ٩٨.

(٢) البيهقي في السنن الكبرى بلفظه ١٠/ ١٩٢، وأحمد ٢/ ٣٨١، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٢/ ٦١٣، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١/ ٧٥ برقم ٤٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٤) سورة القلم، الآية: ٤.

(٥) مسلم، في كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض ١/ ٥١٣ برقم ٧٤٦.

(٦) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ١/ ٥٣٥ برقم ٧٧١.

(٧) فتح الباري ١٠/ ٤٦٠، وانظر: إكمال إكمال المعلم للأبي، ٨/ ٤٣.

ثالثاً: أدب المدعو مع العالم والداعية:

إن من الآداب الجميلة والأخلاق الحميدة احترام العلماء وخدمتهم والعناية بذلك، احتراماً للعلم الذي معهم؛ ولهذا الأمر المهم أرسلت أم سُليم رضي الله عنها ابنها أنس بن مالك رضي الله عنه إلى النبي ﷺ؛ ليخدمه، فخدمه رضي الله عنه عشر سنوات. قال الإمام العيني رحمه الله: «وفيه أن خدمة الإمام والعالم واجبة على المسلمين، وأن ذلك شرف لمن خدمهم...»[١].

فعلى المدعو أن يخدم العلماء، ويوقرهم، ويحترمهم؛ لما لهم من الفضل على الناس بنشر العلم النافع بينهم، وتعليمهم لهم علوم الكتاب والسنة.

رابعاً: من صفات الداعية: الكَيْسُ والنشاط:

إن من صفات الداعية أن يكون عاقلاً ثبتاً، نشيطاً في طاعة الله تعالى؛ لأن الكيِّس في الحقيقة: هو الذي لا يقع منه خلل في الدين؛[٢] ولهذا قال أبو طلحة رضي الله عنه في هذا الحديث: «يا رسول الله، إن أنساً غلام كيِّس فليخدمك».

فعلى الداعية أن يكون عاقلاً، نشيطاً، ملتزماً بأمور الدين، فلا يقع منه خلل ولا تقصير.

خامساً: من أساليب الدعوة: التوكيد بالقسم:

إن التوكيد بالقسم من الأساليب المهمة في الدعوة إلى الله تعالى؛ لأنه يثبت المعاني في القلوب، ويحملها على التصديق؛ قال أنس رضي الله عنه: «فوالله ما قال لي لشيء صنعته لِمَ صنعت هذا؟».

فينبغي للداعية أن يستخدم هذا الأسلوب عند الحاجة إليه.[٣]

سادساً: من وسائل الدعوة القدوة الحسنة:

إن فعل النبي ﷺ مع أنس بن مالك يدل على هذه الوسيلة النافعة، وأن

---

(١) عمدة القاري ١٤/ ٦٦.
(٢) انظر: بهجة النفوس لابن أبي جمرة ٣/ ٩٨.
(٣) انظر: الحديث رقم ١٠، الدرس الخامس.

أثرها عظيم في الدعوة؛ لأن الفعل أبلغ من القول[١] ولهذا أثَّر هذا الخلق الحسن على أنس بن مالك رضي الله عنه حتى قال: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين فوالله ما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا. . .» الحديث.

فعلى الداعية أن يقتدي برسول الله ﷺ في خُلُقه، وأن يكون قدوة حسنة لغيره؛ لأن القدوة الحسنة تعطي الآخرين قناعة بما يدعو إليه الداعية.[٢]

ومن أعظم ما ينبغي للداعية أن يكون قدوة لغيره في: الخلق الحسن، ومنه: طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى، ولاشك أن حسن الخلق قسمان: أحدهما مع الله عز وجل، وهو أن تعلم أن كل ما يكون منك يوجب عذراً، وكل ما يأتي من الله يوجب شكراً، فلا تزال شاكراً له معتذراً إليه. والقسم الثاني: حسن الخلق مع الناس، وجماعه أمران: بذل المعروف قولًا وفعلاً، وكف الأذى قولًا وفعلاً، وهذا إنما يقوم على أركان خمسة: العلم، والجود، والصبر، وطيب العود[٣]، وصحة الإسلام[٤].

فعلى الداعية أن يكون قدوة للمدعوين في هذا الخلق الحسن. والله المستعان.[٥]

***

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر، ١٣/ ٢٧٥.
(٢) انظر: بهجة النفوس لابن أبي جمرة، ٣/ ٩٨، وعمدة القاري للعيني، ٢٤/ ٧٠، وشرح رياض الصالحين للعثيمين ٦/ ٢٦٣-٢٦٤.
(٣) طيب العود: أن يكون الله عز وجل خلقه على طبيعة منقادة، سهلة الاستجابة لداعي الخيرات، انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق، ١٣/ ١٣٠
(٤) انظر: المرجع السابق، ١٣/ ١٣٠.
(٥) انظر: الحديث رقم ٣، الدرس الثالث، ورقم ٨، الدرس الخامس، ورقم ٩، الدرس الثالث عشر.

٣٢- بَابُ نَفَقَةِ الْقَيِّمِ لِلْوَقْفِ

١٥-[٢٧٧٦]- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بنُ يُوسُفَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: (١) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَقْتَسِمْ وَرَثَتِي دِينَاراً، وَلَا دِرْهَماً، مَا تَرَكْتُ - بَعدَ نَفَقَةِ نِسَائِي وَمُؤْنَةِ عَامِلِي - فَهُوَ صَدَقَةٌ**»(٢).

○ شرح غريب الحديث:

«**ومؤنة**(٣) **عاملي**» أراد ﷺ بالعامل: الخليفة بعده، وقيل: هو القائم على هذه الصدقات والناظر فيها، وقيل: كل عامل للمسلمين من خليفة وغيره؛ لأنه عامل النبي ﷺ ونائب عنه في أمته(٤).

○ الدراسة الدعوية للحديث:

في هذا الحديث دروس وفوائد دعوية، منها:

١- من صفات الداعية: الزهد.
٢- من صفات الداعية: الكرم.
٣- مسئولية الداعية تجاه أقاربه.

والحديث عن هذه الدروس والفوائد الدعوية على النحو الآتي:

أولاً: من صفات الداعية: الزهد:

في هذا الحديث بيان واضح للأمة أن النبي ﷺ لم يهتم بأمور الدنيا، ولم تكن أكبر همه؛ لأنه لم يبعث لتحصيلها وجمعها، وإنما بعث لإنقاذ الناس

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم: ٧.
(٢) [الحديث ٢٧٧٦] طرفاه في: كتاب فرض الخمس، باب نفقة نساء النبي ﷺ بعد وفاته، ٤/ ٥٥ برقم ٣٠٩٦، وفي كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة» ٨/ ٥ برقم ٦٧٢٩. وأخرجه مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة» ٣/ ١٣٨٢ برقم ١٧٦٠.
(٣) انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي، باب النون، فصل الميم، ص ١٥٩٠، وأعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطابي ٢/ ١٣٤٩.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/ ٣٢٥.

وإخراجهم من ظلمات الشرك والمعاصي إلى نور التوحيد والطاعات. وهذا يدل على زهده، وقناعته ﷺ؛ ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: «خرج النبي ﷺ من الدنيا ولم يشبع من الخبز الشعير»(١)، وقالت: «ما أكل آل محمد ﷺ أُكلتين في يوم إلا إحداهما تمر»(٢)، وقالت: «إنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أُوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار، فقال عروة: ما كان يقيتكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء»(٣).

وقال ﷺ: «**لو كان لي مثل أحد ذهباً ما يسرّني أن لا يمرّ عليَّ ثلاث وعندي منه شيء، إلا شيءٌ أرصُدُهُ لدين**»(٤)، وقد ثبت عنه ﷺ أنه اضطجع على حصير فأثَّرَ في جنبه فدخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولما استيقظ جعل يمسح جنبه فقال: يا رسول الله لو أخذت فراشاً أوثر من هذا؟ فقال ﷺ: «**ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها**»(٥)، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام حتى قبض»(٦).

والمقصود أنهم لم يشبعوا ثلاثة أيام بلياليها متوالية، والظاهر أن سبب عدم شبعهم غالباً كان بسبب قلة الشيء عندهم، على أنهم قد يجدون ولكن يؤثرون على أنفسهم.(٧)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان فراش رسول الله ﷺ من أدَم وحشوُهُ ليف»(٨)،

---

(١) البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون، ٦/ ٢٥٢ برقم ٥٤١٤.
(٢) البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه وتخلّيهم عن الدنيا، ٧/ ٢٣١، برقم ٦٤٥٥.
(٣) البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، ٧/ ٢٣٢، برقم ٦٤٥٩.
(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب أداء الديون، ٣/ ١١٤، برقم ٢٣٨٩، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة، ٢/ ٦٨٧، برقم ٩٩١.
(٥) أحمد في المسند من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ١/ ٣٠١ بلفظه، والترمذي بنحوه، في كتاب الزهد، باب ٤٤، ٤/ ٥٨٨، برقم ٢٣٧٧، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه، في كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، ٢/ ١٣٧٦، برقم ٤١٠٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/ ٢٨٠، وصحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٩٤.
(٦) البخاري، كتاب الأطعمة، باب قول الله تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ الاية، ٦/ ٢٤٠ برقم ٥٣٧٤.
(٧) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٩/ ٥١٧، ٥٤٩.
(٨) البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه وتخلّيهم عن الدنيا، ٧/ ٢٣١ برقم ٦٤٥٦.

ومع هذا كان يقول ﷺ: «**اللهم اجعل رزق آل محمدٍ قوتاً**»[١]، وقال ﷺ: «**قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه**»[٢].

فينبغي للداعية أن يكون زاهداً في الدنيا، راغباً فيما عند الله تعالى؛ فإن ذلك من الصفات الحميدة، والأخلاق الكريمة[٣]. والله المستعان.[٤]

ثانياً: من صفات الداعية: الكرم:

لا ريب أن الكرم من صفات الداعية الناجح؛ لأن الكريم إذا أحسن إلى الناس جلب قلوبهم؛ ولأن النفس في الغالب مجبولة على حُبِّ من أحسن إليها، وهذا واضح في هذا الحديث؛ ولهذا قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث عندما ذكر ماله ﷺ من الأموال. قال: «لكنه ﷺ كان لا يستأثر بها، بل ينفقها على أهله، والمسلمين، وللمصالح العامة...»[٥].

فعلى الداعية أن يكون جواداً كريماً محسناً، وبهذا إن شاء الله يجذب قلوب المدعوين، فيقبلون على دعوته.[٦]

ثالثاً: مسؤولية الداعية تجاه أقاربه:

إن الأقارب لهم حق النفقة والرعاية والإحسان على حسب مراتبهم ودرجاتهم في القرب؛ ولهذا قال ﷺ في هذا الحديث: «**ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة**»، فلم يهمل ﷺ نفقة نسائه، بل أوصى لهن بالنفقة، وقد بين ﷺ أهمية الإنفاق على الأهل، والأقارب، والعيال الذين يعولهم المسلم، أو

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، ٦/ ٢٣٢ برقم ٦٤٦٠، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة، واللفظ له، ٢/ ٧٣٠ برقم ١٠٥٥.

(٢) مسلم، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة، ٢/ ٧٣٠ برقم ١٠٥٤، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) انظر: الاستذكار لابن عبدالبر ٢٧/ ٣٨٦، وفتح الباري لابن حجر، ٥/ ٤٠٦، ٦/ ٢٠٩، ١٢/ ٦.

(٤) انظر: الحديث رقم ٢، الدرس الأول.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢/ ٣٢٦.

(٦) انظر: الحديث رقم ٢، الدرس الثاني.

تلزمه مؤنتهم: نحو الزوجة، والخادم، والوالد، والولد، وغيرهم. فقال: «**أفضل دينارٍ ينفقه الرجلُ: دينارٌ ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينارٌ ينفقه على أصحابه في سبيل الله**»[١]، وقال ﷺ: «**دينارٌ أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك**».[٢]

وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**كفى بالمرْءِ إثماً أن يحبس عمّن يملك قوته**»[٣]، وقال ﷺ: «**ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شَيْءٌ فَلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن قرابتك شيء فهكذا وهكذا**»، يقول: فبيْن يديك وعن يمينك وعن شمالك.[٤]

فينبغي للداعية أن يعتني بقرابته عناية خاصة؛ ليقوم بالواجب، ويكون قدوة حسنة للناس في الخير، والله المستعان.

***

(١) أخرجه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه، في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم، ٢/ ٦٩٢، برقم ٩٩٤.

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، في الكتاب والباب السابقين، ٢/ ٦٩٢، برقم ٩٩٥.

(٣) أخرجه مسلم، في الكتاب والباب السابقين، ٢/ ٦٩٢، برقم ٩٩٦.

(٤) متفق عليه من حديث جابر رضي الله عنه: البخاري مختصراً، كتاب الأحكام، باب بيع الإمام على الناس أموالهم، وضياعهم، ٨/ ١٤٩، برقم ٧١٨٦، ومسلم بلفظه في كتاب الزكاة، باب الابتداء في النفقة بالنفس، ثم الأهل، ثم القرابة، ٢/ ٦٩٢، برقم ٩٩٧.

٣٣ بَابُ إِذَا وَقَفَ أَرضاً أَو بِئراً أَو اشترَطَ لنفسِهِ مِثلَ دِلاءِ المُسلمين

وَوَقَفَ أَنَسٌ داراً، فَكَانَ إِذَا قَدِمَ نَزَلَهَا، وَتَصَدَّقَ الزُّبيرُ بِدُورِهِ، وَقَالَ لِلْمَرْدُودَةِ مِنْ بَنَاتِهِ: أَنْ تَسْكُنَ غَيرَ مُضِرَّةٍ وَلَا مُضَرٍّ بِهَا، فَإِنِ اسْتَغْنَتْ بِزَوْجٍ فَلَيْسَ لَهَا حَقٌّ، وَجَعَلَ ابنُ عُمَرَ نَصِيبَهُ مِنْ دَارِ عُمَرَ سُكْنَىٰ لِذَوِي الحَاجَاتِ مِنْ آلِ عَبْدِاللهِ.

١٦ -[٢٧٧٨]- وَقَالَ عَبْدَانُ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي عَبْدِالرَّحمَنِ: «أَن عُثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،(١) حَيْثُ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيهِم، وقَالَ: أَنشُدُكُمُ اللهَ، وَلَا أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَله الْجَنَّةُ» فَحَفَرْتُهَا؟ أَلَسْتُمْ تَعلَمونَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَله الْجَنَّةُ» فَجَهَّزْتُه؟ قَالَ: فَصَدَّقوهُ بِمَا قَالَ؟ وَقَالَ عُمَرُ فِي وَقْفِهِ: لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهُ أَن يَأْكلَ. وَقَدْ يَليهِ الوَاقِفُ وَغَيرُهُ فَهُوَ واسِعٌ لِكُلٍّ»(٢).

---

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس، أمير المؤمنين أبو عبدالله وأبو عمرو، القرشي، أحد السابقين الأولين إلى الإسلام، وصاحب الهجرتين، وذو النورين، زوج الابنتين لرسول الله ﷺ، ولد بعد الفيل بست سنين على الصحيح، أسلم قديماً على يد أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وبشره رسول الله ﷺ بالجنة، فهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، روى عن النبي ﷺ علماً كثيراً وعرض عليه القرآن، وعرض على عثمان أبو عبدالرحمن السلمي وخلق كثير، ومما ذكر له من الحديث عن رسول الله ﷺ مائة حديث وستة وأربعون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم منها على ثلاثة، وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بخمسة وبَلَّغ ذلك العلم لخلائق من التابعين. وحفر بئر رومة، وجهز جيش العسرة، واشترى أرضاً وسّع بها في المسجد في حياة النبي ﷺ، ووسع في المسجد في خلافته الراشدة، وقد بويع له بالخلافة بعد موت عمر واستشهاده رضي الله عن الجميع؛ لأنه أحد الستة الذين توفي عنهم رسول الله وهو عنهم راضٍ كما قال عمر، وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا ليالي، وحج بالناس عشر سنين متوالية، وقد جمع القرآن على حرف واحد وجمع الله به قلوب المسلمين على ذلك، وفتح الفتوحات الكثيرة العظيمة، قتل شهيداً مظلوماً سنة خمس وثلاثين في شهر ذي الحجة وهو ابن تسعين سنة، وقيل ثمان وثمانين، وقيل ثنتين وثمانين، وقيل غير ذلك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ورحمه.
انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ٣٢١-٣٢٥، وتاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير، والأعلام للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ١/ ٤٦٧-٤٨٢، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٤٦٢-٤٦٣.

(٢) قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ تعالى: وقد وصله الدارقطني والإسماعيلي، فتح الباري ٥/ ٤٠٧.

○ شرح غريب الحديث:

* «**أنشدكم الله**» يقال: نشدتك الله: أي سألتك بالله، ويقال: نشدتك الله، وأنشدك بالله، وأنشدك الله، وناشدتُك اللهَ وبالله: أي سألتك وأقسمت عليك[(١)]، وقيل: نشدتك الله، وأنشدك بالله: أي أُشهدك بالله، وأُعرِّفُكَ ما نحبه فيك من الصدق لِلَّهِ[(٢)].

* «**رُومة**» هي بئر بالمدينة، اشتراها عثمان رضي الله عنه وسَبَّلها[(٣)].

* «**العسرة**» جيش العسرة: غزوة كان فيها شدة على أهلها، وقلةٌ، سُمِّيَ جيشُهَا بما أصابهم[(٤)]، وهي غزوة: تبوك.

○ الدراسة الدعوية للحديث:

في هذا الحديث دروس وفوائد دعوية، منها:

١- من موضوعات الدعوة: الحث على الإنفاق والصدقات في وجوه الخير.
٢- من صفات الداعية: المسارعة إلى الخيرات.
٣- من صفات الداعية: الكرم والرغبة فيما عند الله تعالى.
٤- إظهار الداعية مناقبه عند الحاجة إلى ذلك.
٥- من صفات الداعية: الصبر على الابتلاء والامتحان.
٦- من أساليب الدعوة: الترغيب.
٧- من وسائل الدعوة: القدوة الحسنة.

والحديث عن هذه الدروس والفوائد الدعوية بالتفصيل على النحو الآتي:

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الإنفاق والصدقات في وجوه الخير:

في هذا الحديث الشريف دعوة للأمة إلى الإنفاق والصدقة ابتغاء وجه الله

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، باب النون مع الشين، مادة «نَشَدَ» ٥/ ٥٣.
(٢) تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي ص ٤٣.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، باب الراء مع الواو، مادة «روم» ٢/ ٢٧٩.
(٤) تفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي، ص ٥٣.

تعالى؛ لأن النبي ﷺ دعا إلى حفر بئر رومة فحفرها عثمان رضي الله عنه وهذا العمل من أعظم الصدقات، ودعا ﷺ إلى تجهيز جيش العسرة، فجهزه عثمان رضي الله عنه، وهذه من النفقات في سبيل الله تعالى.[1]

فعلى الداعية أن يحث الناس على الإنفاق في وجوه البر ابتغاء وجه الله تعالى.

ثانياً: من صفات الداعية: المسارعة إلى الخيرات:

إن من صفات الداعية الصادق مع الله تبارك وتعالى المسارعة إلى الخير ابتغاء مرضات الله تعالى؛ ولهذا سارع عثمان رضي الله عنه عندما سمع النبي ﷺ يدعو إلى الإنفاق ويبين فضله، فأنفق على جيش العسرة فجهزه، وحفر بئر رومة، فينبغي للداعية أن يسارع إلى فعل الخيرات كما قال سبحانه وتعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ. . .﴾[2] الآية[3].

ثالثاً: من صفات الداعية: الكرم والرغبة فيما عند الله تعالى:

إن الكرم صفة حميدة ينبغي للدعاة أن يتصفوا بها، وفي هذا الحديث صورة واضحة تبين كرم عثمان رضي الله عنه وأرضاه، فقد أنفق نفقة عظيمة عجز عظماء الرجال عن الإنفاق مثلها، فقد ثبت أنه أنفق في هذه الغزوة ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وجاء بألف دينار فنثرها في حجر النبي ﷺ، فأخذ النبي ﷺ يقلِّبها في حجره ويقول: «**ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد هذا اليوم**» قالها مراراً[4]، ومما يدل على كرمه أيضاً ما أنفقه في شراء بئر رومة وحفرها، وذلك أن المهاجرين لما قدموا المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني

---

(١) انظر: شرح الكرماني على صحيح البخاري ١٢/ ٨٧، وفتح الباري لابن حجر، ٥/ ٤٠٧، وعمدة القاري للعيني، ١٤/ ٧١.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣-١٣٤.

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٥/ ٤٠٧، وعمدة القاري للعيني، ١٤/ ٧٢، والحديث رقم ٣٠، الدرس الثاني.

(٤) الترمذي، في كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه ٦/ ٦٢٦، برقم ٣٧٠١، وقال حسن غريب من هذا الوجه، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ٣/ ٢٠٩، وأخرجه أيضاً الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٣/ ١٠٢، وانظر فتح الباري، لابن حجر، ٧/ ٥٤.

غفار عين يقال لها رومة، وكان يبيع منها القربة بمد، فقال له النبي ﷺ: «**تبيعنيها بعين في الجنة؟**» فقال يا رسول الله: ليس لي ولا لعيالي غيرها، فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له؟ قال: «**نعم**»، قال: قد جعلتها للمسلمين.[١]

وهذا يدل على كرم عثمان رضي الله عنه ورغبته فيما عند الله تعالى، فعلى الداعية أن يكون كريماً راغباً فيما عند الله سبحانه وتعالى.[٢]

رابعاً: إظهار الداعية مناقبه عند الحاجة لذلك:

لاشك أن الداعية الصادق المخلص لا يحب أن يُظهر عمله للناس؛ لأنه لا يقصد به إلا وجه الله تعالى والدار الآخرة، ولكن إذا كان في إظهار مناقبه مصلحة راجحة تنفع الدعوة والمدعوين، أو تبيِّن للناس مدى صحة ما يقول حتى يعملوا به، أو تدفع عنه تهمة رُمِيَ بها، فلا بأس بذلك، وفي هذا الحديث من فعل عثمان وقوله ما يدل على ذلك؛ ولهذا قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فوائد هذا الحديث: «... وفيها جواز تحدث الرجل بمناقبه عند الاحتياج إلى ذلك لدفع مضرة، أو تحصيل منفعة، وإنما يكره ذلك عند المفاخرة والمكاثرة والعجب»[٣].

خامساً: من صفات الداعية: الصبر على الابتلاء والامتحان:

يظهر في هذا الحديث ما حصل لعثمان رضي الله عنه من الابتلاء، والامتحان، فقابل ذلك بالثبات والصبر، فهو ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ومع ذلك أصابه هذا الابتلاء؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[٤].

---

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري، ٥/ ٤٠٧، وعزاه بسنده إلى البغوي في الصحابة، وانظر: تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي للمباركفوري، ٧/ ١٩٠.
(٢) انظر: الحديث رقم ٢، الدرس الثاني، ورقم ١٥، الدرس الثاني.
(٣) فتح الباري ٥/ ٤٠٨.
(٤) سورة محمد، الآية: ٣١.

فينبغي للداعية أن يسأل الله العفو والعافية، وإذا حصل ابتلاء صبر واحتسب الأجر على الله تعالى، نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.[١]

سادساً: من أساليب الدعوة: الترغيب:

لا ريب أن أسلوب الترغيب له أثر في حياة المدعو؛ ولهذا اعتنى به القرآن الكريم، واستخدمه النبي ﷺ في دعوته، وفي هذا الحديث يظهر هذا الأسلوب في قوله ﷺ: «**من حفر رومة فله الجنة**»، وقوله ﷺ: «**من جهز جيش العسرة فله الجنة**»، وقد جاء في سبب ورود هذا الحديث أن المسلمين عندما قدموا إلى المدينة وجدوا أن الماء العذب قليل، وليس بالمدينة ما يستعذب غير بئر رومة، فقال رسول الله ﷺ: «**من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة؟**»[٢]، وقال في حديث الباب: «**من حفر رومة فله الجنة**» قال ابن حجر في الجمع بين لفظ الحفر والشراء: «... وإن كانت أولًا عيناً فلا مانع أن يحفر فيها عثمان بئراً، ولعل العين كانت تجري إلى بئر فَوَسَّعَها وطواها فنسب حفرها إليه»[٣].

فعلى الداعية أن يستخدم أسلوب الترغيب في دعوته للناس؛ فإن ذلك من أنفع الأساليب في جذب المدعوين إلى الخير.[٤]

سابعاً: من وسائل الدعوة: القدوة الحسنة:

يظهر في هذا الحديث أن القدوة وسيلة ناجحة في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك أن عثمان رضي الله عنه اشترى بئر رومة وحفرها، وأنفق النفقة العظيمة في غزوة تبوك وكل ذلك بحضرة الصحابة رضي الله عنهم، فكان رضي الله عنه قدوة حسنة لغيره

---

(١) انظر: حديث رقم ٩، الدرس الثامن، ورقم ١٣، الدرس الثاني.

(٢) النسائي، في كتاب الوصايا، باب وقف المساجد، ٦/ ٢٣٥ برقم ٣٦٠٨، والترمذي، وحسنه في كتاب المناقب، باب مناقب عثمان رضي الله عنه، ٦/ ٦٢٧ برقم ٣٧٠٣، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ٣/ ٢٠٩، وصحيح النسائي ٢/ ٧٦٦.

(٣) فتح الباري ٥/ ٤٠٨.

(٤) انظر: الحديث رقم ٧، الدرس الرابع عشر، ورقم ١٣، الدرس الثالث.

من الصحابة؛ ولهذا أثنى عليه النَّبِيُّ ﷺ مراراً بقوله: «**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**» وكان ذلك بحضرة الصحابة ﷺ، وفي ذلك تشجيع لهم على النفقة.

فينبغي للداعية أن يكون قدوة حسنة لغيره؛ فإن ذلك من أنجح الوسائل في الدعوة إلى الله سبحانه.[1]

***

(١) انظر: الحديث رقم ٨، الدرس الثالث عشر، ورقم ١٤، الدرس السادس.

٣٥- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ * فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَءَاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ ۖ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1]

الأَوليانِ: وَاحِدُهما أَولَى، ومنه: أَولَى به: عُثِرَ: ظُهِرَ. أَعْثَرْنَا: أَظْهَرْنا.

١٧-[٢٧٨٠]- وَقَالَ لِي عَلِيُّ بنُ عَبْدِاللهِ: حَدَّثَنَا يحيىٰ بنُ آدَمَ: حَدَّثَنا ابنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ أَبِي القَاسِمِ، عَن عبدِالمَلِكِ بنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا،[2] قَالَ: «خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ مَعَ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ وَعَدِيِّ بْنِ بَدَّاءٍ، فَمَاتَ السَّهْمِيُّ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا مُسْلِمٌ، فَلَمَّا قَدِمَا بِتَرِكَتِهِ فَقَدُوا جَاماً مِنْ فِضَّةٍ مُخَوَّصاً مِنْ ذَهَبٍ. فَأَحْلَفَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ وُجِدَ الجَامُ بِمَكَّةَ فَقَالُوا: ابْتَعْنَاهُ مِنْ تَمِيمٍ وَعَدِيٍّ، فَقَامَ رَجُلانِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ فَحَلَفَا: لشهادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا، وَإِنَّ الْجَامَ لِصَاحِبِهِمْ، قَالَ وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾[3].

○ شرح غريب الحديث:

* «**رجل من بني سهم**» قيل: هو بزيل، وقيل: بريل، وقيل: بديل بن أبي مريم، قيل: كان مسلماً من المهاجرين[4].

---

(١) سورة المائدة، الآيات ١٠٦-١٠٨.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٥-٢٧٤٣.

(٣) قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «والصحابي إذا حكى سبب النزول كان ذلك في حكم الحديث المرفوع اتفاقاً» فتح الباري ٥/ ٤١٢.

(٤) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ١/ ١٤٠، و فتح الباري له، ٥/ ٤١٠، وعمدة القاري =

* «**الجام**» هو الكأس.[١]

* «**مُخَوَّصاً**» أي منقوش فيه خطوط دقاق طوال كالخوص، وهو ورق النخل، وقيل: «الجام المخوص» إناء من فضة منقوش بذهب، وقيل: عليه صفائح الذهب مثل خُوص النخل.[٢]

○ الدراسة الدعوية للحديث:

في هذا الحديث دروس وفوائد دعوية، منها:

١- من موضوعات الدعوة: الحث على الوصية عند الموت.
٢- حفظ الإسلام لحقوق الإنسان.
٣- من أساليب الدعوة: القصة.
٤- من أساليب الدعوة: الترهيب.

والحديث عن هذه الدروس والفوائد الدعوية بالتفصيل على النحو الآتي:

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الوصية عند الموت:

في هذا الحديث دعوة للأمة وحث لها على الوصية عند الموت، فإذا حضر الإنسان الموت أو مقدماته فينبغي له أن يكتب وصيته ـ إذا لم يكتبها قبل ذلك ـ ويشهد عليها اثنين ذوي عدل من المسلمين؛ فإن كان في سفر ولم يجد أحداً من المسلمين، ونزل به الموت أشهد اثنين من غير المسلمين، ودفع إليهما ما معه من مالٍ وتركة لورثته، فإذا وصل الشاهدان إلى الورثة وظهر لهم أنهما قد خانا فإن أولياء الميت يوقفونهما بعد صلاة العصر ويُحلِّفونهما أنهما ما خانا ولا كذبا، ولا غيَّرا ولا بدلا، فإن اطلع الورثة على أن الشاهدين كاذبان، وقد خانا من مال الميت شيئاً أو غَيَّرا الوصية، فإن شاء أولياء الميت قام منهما اثنان فحلفا بالله أن شهادة الكافرين باطلة، وأنهما خانا وكذبا، وإنَّا لم نعتدِ،

= للعيني، ١٤/ ٧٦.

(١) انظر: القاموس المحيط، باب الميم فصل الجيم، ص ١٤٠٨، وعمدة القاري للعيني، ١٤/ ٧٦.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الخاء مع الواو، مادة: «خوص» ٢/ ٨٧، وفتح الباري لابن حجر، ٥/ ٤١١، وعمدة القاري للعيني، ١٤/ ٧٦.

وبهذا يستحق أولياء الميت ما يدعون .[١]

فينبغي للداعية أن يبين للمدعوين ما يحتاجون إليه مما ينفعهم في الدنيا وعند الموت، ومن ذلك بيان الوصية والحث عليها وتوضيحها للناس .

ثانياً: حفظ الإسلام لحقوق الإنسان:

في هذا الحديث بيان واضح بأن الإسلام يحفظ حقوق الإنسان، وهذا يؤكد تأكيداً جازماً أن الإسلام هو الذي يصلح لكل زمان ومكان؛ ولهذا اعتنى بحق الإنسان حتى عند الموت وبعده كما في هذا الحديث .[٢]

فعلى الداعية أن يبين للناس عناية الإسلام بحقوق الإنسان، وذلك مما يزيد يقين المسلم ويرغب غيره في الإسلام .

ثالثاً: من أساليب الدعوة: القصة:

القصة من خير ما يتوصل به الداعية لإبلاغ دعوته إلى أعماق القلوب؛ لأن النفس تميل إليها، وأبلغ القصص ما جاء في القرآن الكريم، والسنة الثابتة، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ الآية .[٣]

وفي هذا الحديث يسوق ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هذه القصة التي بين فيها للناس ما ينبغي أن يعلمه المسلم عند الوفاة في الحضر أو السفر، فينبغي للداعية أن يستخدم هذا الأسلوب في دعوته .[٤]

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترهيب:

لا ريب أن أسلوب الترهيب من الأساليب النافعة؛ لأنه يخوف المدعو ويحذره ما يضره، ويظهر في هذا الحديث المشتمل على الآية: أسلوب الترهيب في

---

(١) انظر: تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» ١١/ ١٥٤-٢٠٨، وتفسير البغوي ٢/ ٧٣-٧٥، وتفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» ٦/ ٣٢٤-٣٣٨، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٠٥-١٠٨ .

(٢) انظر: الحديث رقم ٦، الدرس الثاني .

(٣) سورة يوسف، الآية: ١١١ .

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ٤/ ٦٥ .

التخويف من الإثم ومن الظلم، وأن الله لا يهدي القوم الفاسقين، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[١].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وخافوا الله أيها الناس، وراقبوه في أيمانكم أن تحلفوا بها كاذبة، وأن تذهبوا بها مال من يحرم عليكم ماله، وأن تخونوا من ائتمنكم...»[٢]، وبين سبحانه أنه لا يوفق من فسق عن أمر ربه فخالفه وأطاع الشيطان[٣]، فعلى الداعية أن يستخدم هذا الأسلوب في دعوته، والله الموفق والمستعان.[٤]

***

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٨.
(٢) تفسير الإمام الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» ١١/٢٠٦.
(٣) انظر المرجع السابق ١١/٢٠٦.
(٤) انظر: الحديث رقم ٧، الدرس الثالث عشر.